

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤



روايات اجتماعية

جمال شاهين

أستاذ الفرنساوية

جمال شاهين

أستاذ الفرنساوية

فارس محسن

نزل فارس محسن من السيارة الصالون ، وفتح باب الموقف الخاص بها داخل الفيلا ، ثم أدخل السيارة نفسها الموقف ، وأطفأ المحرك ، ونزل منها وأغلقها ، وتفقد سائر الأبواب، ثم ضغط زرا فاغلق باب الموقف أوتوماتيكيا ، وهكذا أغلق باب الكراج ، وهكذا يفعل عادة ، فنظر الرجل الساكن في هذه الفيلا نظرة على ساعة معصمه ، ثم مشى على درب يوصله لمدخل الفيلا فوجد طفلتيه تقفان على مدخل الفيلا في انتظاره ، فصعد درجة واحدة وعانقهما ، ثم رفع الصغيرة منهما إلى أعلى ، وهو يمازحهما كعادته عندما تكونان في استقباله ، ودخل بهما الباب ، وكانت زوجته ترقب دخوله مع الطفلتين ، ولما أصبح في الداخل حيا الزوجة تحية المساء ، وأغلقت المرأة الشابة الباب بالمفتاح ، ولما وضع الطفلة على الأرض ، قالت له الزوجة الحسناء : أين كنت ؟! لقد تأخرت عن الغداء !

خلع الجاكيت وناولها للزوجة وهو يرد قائلا : نعم ، تأخرت يا ثريا .. لقد اتصلت بالبيت ظهرا فلم يرد عليّ أحد ؟!

أمسكت بالجاكيت وأجابت : كنت عند أمي .. اتصلت بي صباحا فهي متعبة متوعكة .

مشت لتضع الجاكيت في موضعها المناسب ، وقد سمعته يتمتم داعيا لها بالشفاء وقال : هل أكلتم ؟

ـ أكل الأطفال بعض الطعام .

ـ هيا بنا للمطبخ إذن .. إني جائع رغم أنهم قدموا لنا بعض الطعام والشاي .. كنا في زيارة لأحد الزملاء المرضى يا أم سلوى .. ذهبنا لبيته .. وبيته خارج المدينة .. في طريق مدينة نصر .. الله يشفي جميع المرضى .. أليس هكذا يدعون في بلادنا ؟

لما رجعا لصالة البيت وجلس فارس على إحدى الكنبات ، قامت ثريا بوضع بطاقة دعوة بين يديه ، فتناولها بإحدى يديه وهو ينظر إليها مستفهما : ممن ؟!

فردت بغير اهتمام : كأنها من أختك خديجة .

فقال كأنه متفاجئ : أختي خديجة !!

وفتح غلاف بطاقة الدعوة وأخرج البطاقة التي تدعوه فيها شقيقته الكبرى خديجة محسن للمشاركة في عرس ابنها عصام مازن ، هذه البطاقات الدعوية اليوم سارت من عادات العرس ويتفنن أصحاب المطابع في صناعتها وأشكالها ، وهي تتضمن دعوة من والديّ العروسين للمدعو لحضور حفلة العرس في مكان ما وزمان ما .

قرأ فارس اسم العروس واسم والدها وعائلتها ، فلم يعرف أحدا منهم ، فتمتم في نفسه بكلمات ، ثم ترك الكرت على منضدة الصالة وقال متبرما : من أحضرها إلينا يا ثريا ؟

قالت : ربما عصام نفسه .. لما رن الجرس لم أكن في البيت كما قلت لك ، كنت عند أمي المريضة وحين عدت من عندها أرسلتها لي جارتنا نهى مع خادمتها .. فاتصلت بها ، فقالت شاب اسمه عصام رن على جرس البيت ، وقال جارتكم أم سلوى امرأة الدكتور فارس غير موجودة فإذا سمحت لو أوصلت لها بطاقة العرس . فأخذتها ، ولما عدت أرسلتها مع الخادمة ..

ـ جميل ! جميل ! ها هي السيدة خديجة تريد تزويج ابنها عصام ، لقد كبر الفتى .. ماذا درس هذا الشاب ؟! .. لم يدرس ، لقد ترك المدرسة ، واشتغل بورش تصليح السيارات .. هل تعلمين أن هذا أول حفيد ذكر لمحسن سيتزوج ؟!

ـ الله يتمم على خير .. من يعش سيتزوج .. هل ستذهب ؟

تبسم بضيق من السؤال : الآن لا أدري لست أعلم .. أنا لي سنوات لم أزر خديجة في بيتها .. الأمور بيننا ليست على ما يرام .

وغرق في ذكرياته مع أخته وزوجها ابن عمه مازن وشقيقته حبيبة .



فارس شاب متوسط الطول ، بشرته خفيفة السمرة ، تعلم في الجامعة دون سائر إخوته الذكور وتعلم في كلية الآداب ، وحصل على ليسانس آداب اللغة الفرنسية ، وأخذ الماجستير

والدكتوراه كذلك بهذه اللغة الأجنبية ، مما ساعده أن يعمل معيدا في نفس الجامعة التي تخرج منها ، ثم ترقى في السلم الوظيفي لعضو الجامعة، فهو محاضر معروف في وسط الجامعات والطلاب ، وهو مغرم بتلك اللغة ، ويتعامل معها بطلاقة وحب أكثر من اللغة الإنجليزية ، ومع ذلك فهو يحسن القراءة والكتابة بها أيضا ، وهو ضعيف في لغته العربية ، فلذلك عندما يحتاج لترجمة بحث للغة العربية يعرضه على مدرسين اللغة العربية لتصحيح الكثير من أخطائه النحوية والإملائية ، وهو يقول عن سبب تعلقه باللغة الفرنسية غرامه بالقصص والروايات الفرنسية أثناء فترة المراهقة ، وكذلك هرب الكثير من الشباب من تعلم تلك اللغة ، وأدرك كذلك أن مجال العمل بها ممكن وكبير .

كان الدكتور فارس يجلس في مكتبه في مبنى الجامعة الكبير ، وبينما هو يشعل سيجارة ـ فقد كان هذا الدكتور من يتعاطون التبغ ـ وقد أخذ عليها نفسا عميقا ، ارتفع جرس الهاتف في الغرفة ، فرد قائلا : نعم .. أهلا ثريا هل من شيء ؟!.. لا وقت لديّ لحضور الحفلات .. لن أذهب .. أرجوك .. صدقي لا وقت لديّ .. إنهم لا يعلمون انسِ لن احضرها .. هم أرسلوا البطاقة بحكم العادة .. جاء المدعو أو لم يجء .. اذهبي إلى أمك ، وسلمي عليها وعلى الجميع . ترك الهاتف وقال لنفسه : ولماذا أذهب ؟! فخديجة تكرهني .. وزوجها يكرهني أكثر .. لا وقت عندي لحضور الأعراس .

ولم يعد للبيت ذلك اليوم إلا بعد منتصف الليل ، ولما فتحت له زوجه الباب قالت : لماذا تأخرت قبل قليل غادر بيتنا أخي ماهر وزوجته.. كان يريدك في أمر .. ثم يأس من عودتك .. هل ذهبت للعرس ؟

ـ أي عرس ؟!

ـ عرس ابن أختك .

ـ لا ، ألم أقل لك ظهرا لا وقت لديّ ؟

فقالت متمنية : أنا أرغب أن تعود المياه لمجاريها بينك وبين أهلك يا فارس .

فقال غير مكترث بتمنيها : لا تهتمي بهم .. أنا نسيتهم منذ تزوجت ثريا جُد.. كم لنا متزوجون ؟ تسع سنوات على ما أعتقد .. عشر سنوات .. وذلك عندما رفضت العروس التي أرادوا تزويجي منها .. فحقدوا عليّ .. وأعلنوا الحرب الشعواء حرب داحس والغبراء على فارس .. على الدكتور فارس ..واعتبر زوج الأخت خديجة رفضي لأخته جريمة وعارا .. وفضيحة كبرى في تاريخ العائلة ..

وكان خلال هذا الكلام قد خلع الجاكيت وناولها لثريا ، وجلس على مقعد وتابع الكلام : هؤلاء الناس لا يعتبرون مشاعر الإنسان شيئا مهما .. هي صحيح متعلمة وتخرجت من الجامعة بعد زواجنا وأصبحت طبيبة ..ولكنها لم تكن تناسبني .. ولا يعلمون مقدار الحب الذي أحببتك إياه .. سخروا من حبي لك ، واعتبروه حب عيال ومسلسلات وتسالي وروايات .. وأنا خفت حقيقة أن تتخلي عني عندما علمت شدة رفضهم لزواجي منك .. آ.. ماذا يريد الأخ ماهر مني يا أم سلوى ؟

ـ ربما بعض المال .. فهو غارق هذه الأيام في الديون .. المصنع يمر بأزمة ومشاكل حادة كما يقول ، وكما فهمت منه .

ـ يريد مالا !!



السخط

كان والد فارس يقول لولديه محمود وجابر وهم يغادرون قاعة الاحتفال بعرس ابن خديجة : أخوكم فارس لم أره في الحفلة ؟!

فرد جابر بغيظ : ولا زوجته .. لقد كان عندنا أمل أن تتحسن العلاقات بيننا مع هذه الحفلة .. لقد كان أبو عصام يصر على عدم دعوته زاعما أن الرجل متكبر ولا يعتبر أحدا من العائلة له قيمة وأهمية .. وكان لا يقدر أحدا قبل أن يأخذ الدكتوراه ؛ فكيف بعد أن حمل هذا اللقب وأصبح ينادى يا دكتور ..؟

قال محمود : لا تقل ذلك يا جابر عن أخيك ..أنت تعلم سبب زعل مازن من أخيك .. أنتم فعلتم الواجب عليكم وكفى .. حضر المدعو أو لم يحضر .. فهذا لا يؤثر على العرس .

فرد جابر بزعل ظاهر : مهما يكن ، فخديجة الأخت الكبرى وزوجها ابن عمنا.. وابنة عمنا تزوجت زوجا أحسن من مليون فارس .. وهي طبيبة قد الدنيا .. هو كان طامعا بها .. فلما التقى بثريا اللعينة نسي ابنة العم .. لقد تقدم لها الكثير .. فرفض عمي ومازن من أجل خاطر الدكتور فارس ..لا تنس ذلك يا أخ محمود .. ابنة عمنا لم تكن بايرة ..كانت في أول سنوات الجامعة .

ـ تعلمت على حساب الدولة .

ـ ماذا في هذا ؟ ما صاحبك تعلم على حساب الجمعية .. على حساب الدولة على حساب عمك المهم تعلمت وصارت طبيبة .

فقال محسن السامع لهذا الحوار : وأم سلوى لم تحضر ؟

قال جابر : سألت زوجتي هناء ، فأكدت لي أنها لم ترها ، لا هي ولا أحد من أهلها..

فقال الأب محسن : فارس غلطان يا محمود .. المجاملات في مثل هذه المناسبات مهمة فإنها تزيل الكثير من الشحناء والحقد ، وتساعد على تحسين العلاقات .. المفروض بعد كم سنة من العداء أن عاد فارس لحضن العائلة ..أكيد أمكم فاطمة ساخطة عليه وعلى امرأته .. هو الواحد لما يتعلم لازم يكبر على أهله والناس .. عيب .. عيب يا فارس .. أنا متألم منه كثيرا .. هو يعني لما

يتحدث بالتلفون قام بواجبه نحونا .. وإذا أهل على دارنا يقضي خمس دقائق .. كيف حالكم ؟ ما أخباركم .. هيا يا ثريا وراءنا شغل و.. و ...

فقال جابر بغيظه الظاهر: كأنه لم يتعلم أحد في الجامعة في هذه الدنيا سواه .. صحيح نحن لم نساهم في تعليمه .. لأن وضعنا المادي يا رب الستر .. وكثيرون يتعلمون على حساب الجمعيات وأهل الخير والوزارات ..

قال محمود : على كل حال دعونا الآن من فارس .. ولنهتم بضيوف ابن عمنا مازن .

بينما الدكتور فارس يلقى محاضرة على طلابه ، دخل عليه أحد الزملاء الدكاترة مخبرا له أن البيت اتصل أكثر من مرة ، فاعتذر من الطلبة لبضع دقائق فقط ، ولما اتصل بالبيت سمع بكاء ثريا قبل سماعه صوتها ، فاضطرب قلبه وقال : ما الأمر ؟ هل سلوى بخير ؟

لقد غادر البيت وسلوى تعاني من التهاب اللوزتين ، فظن أن مرضها تضاعف وزادت درجة حرارتها .

ولما تمالكت الزوجة أعصابها ونفسها علم منها أن أمه بهدلتها وشتمتها وحقرتها ولعنتها ، وغاضبة عليها لعدم مشاركتها حفل زواج حفيدها عصام مازن ، وحذرتها من المجيء هي وزوجها لبيت العائلة ، وستطردهما شر طردة ، حتى تسمح خديجة لهما بزيارتهم ويعتذرون لها.

فلما سمع القصة فقال: أهذا الذي أزعجك ؟! نحن في غنى عن زيارتهم .. أنا ظننت أن سلوى زاد سقمها وتعبها .. هل أخذتيها إلى الطبيب ؟

قالت وهي تشرق بدموعها وتتنهد بالبكاء : جاءت أختي وأخذتها للعيادة ، وأنا في انتظارهم إن أمك جرحتني ، وأساءت إلى أهلي ، وإنهم لم يربوني ، وشتمتهما يا فارس .

فقال غضبا : سأنهي علاقتي بهم للأبد .. إنهم سيئون وحاقدون .. أنا آسف يا حبيبتي .. اهدئي ولما أرجع سنتحدث في الموضوع إلى اللقاء .

ووضع السماعة وقد أصابه انزعاج شديد وغضب قاتل ، وقال وهو يصر على أسنانه غلا وغيظا : إنهم يكرهونني لا أدري لماذا ؟! موضوع زواجي من ابنة عمي انتهى منذ عشر سنوات .. حفل زواج عصام فتح الجروح من جديد .. أحسن حل الابتعاد عنهم نهائيا .. لماذا لا أغادر

البلاد نهائيا حتى لا أسمع أخبارهم قطعيا ؟ .. كيف السفر؟ لا أستطيع .. نعم ، لا أستطيع من ابتلي بالنساء لا يستطيع .. وقبل أن يغادر لإكمال محاضرته رن على بيت أمه ، فردت أمه وقبل أن يتحدث بشيء، كالت له السباب والشتم والغضب عليه ووصفته بالجبان والمحكوم للنساء ـ تعني زوجته وحماته ـ وأغلقت السماعة في وجهه ولم تسمح له بإكمال جملة ، فازداد حنقا على أمه ، وعاد لمحاضرته ، فوجد الطلاب قد تركوا القاعة ، وأن وقت المحاضرة قد انتهى ، فعاد لغرفته يدخن ويشرب القهوة .

وبينما هو يخطط ويدبر للانتقام من أمه التي مسحت بكرامته الأرض كما زعم ، رن الهاتف من جديد فرد صائحا : أنا الدكتور فارس .. آيا ثريا .. لعلك هدأت .. ماذا قلت ؟! .. أمي ماتت ماتت !! يا الهي قبل قليل كنت كنت ... لا شيء .



ترك فارس الجامعة عائدا للبيت ، فوجد زوجته ثريا في انتظاره ، وقد ارتدت ملابس الحداد السوداء ، فلم ينزل من السيارة ، ضغط على منبهها ، فجاءت وصعدت بجواره وهي تقول لأختها : لن أتأخر يا ريما بعد إخراج الجنازة سأعود ..

دخل فارس بسيارته حي درهم جوهر حيث يسكن الوالد والأشقاء ، فأوقف السيارة أمام البيت ، وقد كان المكان مزدحما بسيارات العائلة من الأقارب والأصهار، وكانت هناك جمهرات من الناس أمام البيت ، فنزل من السيارة تتبعه ثريا ، وقد أشار للناس محييا ، ثم مشى نحو بيت الوالد ، ودفع الباب ليدخل فسمع أحد الناس يقول : لم يأتوا من المستشفى بعد يا دكتور فارس فالتفت للقائل وقد توقف عن الدخول : في المستشفى .. لقد قيل لي إنها ماتت !.. من ؟ يوسف أهلا بابن عمي .. كيف حالك ؟

ومشى إليه مسلما فقال المدعو يوسف : آ ، أما زلت تعرف اسمي يا دكتور فارس .. عظم الله أجرك .. ورحم الله الحاجة فاطمة أم محمود

وتصافحا وتعانقا وقال يوسف : نعم ، هي ماتت .. ولكنهم لم يفرجوا عن جثتها .. ربما يجرون لها التشريح الطبي .

ـ تشريح ولماذا ؟! .. لقد كان عندها أمراض قلب وضغط .

ـ هذا ما نقل لنا يا دكتور ..

ـ الوالد في الداخل ؟

ـ نعم ، وعمك سالم والدي أيضا .

حياه برأسه وتابع دخوله تتبعه ثريا ، وسمع صوت بكاء نساء في إحدى الغرف فأشار لثريا إلى غرفة البكاء على الميت ، وتقدم هو من غرفة يقف أمامها شقيقه جابر وهو الشقيق الأصغر وفارس هو أحد أفراد عائلة تتكون من سبعة أبناء وبنات وأم وأب ، وهم حسب السن خديجة الشقيقة الكبرى لفارس ، وبلغت من العمر عند أحداث هذه الرواية إحدى وأربعين سنة ، وزوجها هو ابن عمها مازن ، والتي تليها دليلة فأمينة ثم محمود وهو أكبر الذكور ، وعمره يومئذ سبعة وثلاثون عاما ، متزوج ولم يوهب الذرية بعد ، ثم فارس وكان ابن خمس وثلاثين سنة ومتزوجا من ثريا زميلته في الجامعة أيام الدراسة ، ثم الشقيق جابر الذي لم يفلح في الدراسة ولكنه صاحب مصنع حلويات ، وهناك حميدة الأخت الصغرى لفارس ، وقد تخرجت من كلية التمريض وتعمل في مستشفى للدولة .

فلما مشت ثريا إلى حجرة النساء لتشاركهن الحزن والبكاء على المرأة التي قضت نحبها تقدم فارس نحو الغرفة التي يجلس فيها والده وأعمامه ، وقد كان السيد جابر يقف أمامها الذي صاح عندما دنا منه : أهلا بالدكتور .. أهلا بالقاتل !

هتف فارس دهشا : القاتل! .. ماذا تعني أيها المجنون ؟!

ثريا التي سمعت كلمة القاتل توقفت عن الدخول والتفتت لزوجها وشقيقه الغاضب ، وخرج بعض أفراد الأسرة لما سمعوا صياح جابر متهما أخاه بالقاتل ، فقال الأب محسن : اهدأ يا جابر ليس الوقت وقت عتاب وشجار .. رحم الله فاطمة .

لكن جابرا ازداد هياجا وغضبا وقال : بل هو القاتل يا أبي ويا عمي .. يا ناس كانت تتكلم معه

بالتلفون عندما سقطت ميتة .. كانت ..

فصاح محمود الشقيق الأكبر : اسكت يا جابر .. اسمع كلام أبيك .. ادخل يا فارس لا تهتم لكلام جابر .

لكن جابرا مسك قميص فارس ولطمه على خده بصفعة عنيفة ، وهو يقول صائحا : اخرج يا مجرم .. ماتت وهي تلعنك أنت وذريتك .

حدث الصفع بسرعة ، قبل أن يتداركهما الناس الذين وقفوا بينهم حينئذ فقال فارس بغضب : ثريا تعالي .. نحن لا أهل لنا.. أنت حيوان وبغل ستنام الليلة في المخفر.

فهجم عليه جابر ثانية وصفعه مرة أخرى ، وهو يقول : أنا بغل يا حقير ! .. يا قاتل .. افعل ما بدا لك .

وارتفع الصياح والهياج وعلا صوت النساء ، وخرجت ثريا من الدار باكية ، وقاد الرجال فارسا لخارج الدار ، وأخذ البعض يلوم جابرا على سوء تصرفه ، وأن الوقت وقت حزن وعزاء وليس وقت تصفية حسابات ، وقد سمعوا وهم يخرجون فارسا من داخل البيت السيدة خديجة التي تركت البكاء وغرفة النساء لتقول : يستاهل .. أسد يا جابر أسد !

فقال محسن : يا عالم .. ما هذا !!



غضب الأب

فور انتهاء عزاء أم محمود فاطمة عبد الرحمن زوجة السيد محسن جابر ، طلب الرجل من ولده جابر الرحيل من بيت العائلة ، فقد كان الشاب يسكن في داره ضمن بيت العائلة الواحدة ، فرفض جابر الانصياع للأمر معتبرا أن هذا بسبب غضبه وزعله منه لصفعه فارس أمام الناس. ولكن الأب صمم على خروجه من بيته ، فاضطر الرجل أمام غضب وتصميم أبيه أن يستأجر بيتا في نفس الحي آملا هدوء والده ونسيان القضية ، ومن ثم العودة لبيت العائلة بعد حين ، ولذلك وسط الكثير من الأقارب والأخوات ليعود ، ولكن الحاج محسن الخباز القديم رفض كل الشفاعات وقال لهم : إن تصالح مع أخيه وجاءا معا لعلي أغير قراري .

ولما رأى جابر أن والده مصر على رفض الصلح رحل إلى حي ياقوت جوهر .. ومع الوقت ضعف اتصاله ببيت الأسرة ، ونسي أمر التفكير بالعودة للبيت الكبير ، وزاد سخطه وحقده ونقمته على الدكتور فارس الذي جعله سببا للعداوة بينه وبين أبيه ، وكان الرجل صاحب مصنع صغير يصنع الحلوى الشعبية .

وهو متزوج كما ذكرنا سابقا ، وقد ولد له البنون والبنات ، وأكبرهم يسمى خضرا وهو دون الخامسة عشرة عندما بدأت فصول رواياتنا هذه ، فجابر هذا قد تزوج قبل فارس بسنوات ؛ لأنه ترك المدرسة قديما وهو في سن المراهقة ، وعمل في صناعة الحلوى في أحد المصانع ، ثم تزوج من إحدى بنات صاحب المصنع .

ولما أصبح صهرا للرجل أنشأ له مصنعا صغيرا ، فكانت حياته هادئة من ناحية العمل ، ولكنه من حبه لأخته الكبرى خديجة يقف معها سلبا وإيجابا ، وكانت قد ساعدته ماديا عند زواجه فحفظ لها هذا المعروف ، فلما رفض فارس قبل سنوات الزواج من ابنة عمه شقيقة زوج أخته مازن محمد ، بعد أن شاع في العائلة أن فارسا سيتزوج حبيبة ، صدم الرجل كغيره من أفراد العائلة الكبيرة ، وكيف يتزوج من فتاة التقطها كما يقولون من الجامعة وفضلها على ابنة عمه ؟! أصيب القوم بالذهول ، ولم يعجبهم اختيار الشاب ، واعتبروه مخادعا لهم ، ومكر بهم وبابنة عمه .

فصف جابر منذ ذلك الوقت مع خديجة وزوجها بالإساءة والتقريع بفارس ، وكانت خديجة غاضبة جدا من شقيقها ، وأشهرت غضبها ونقمتها على فارس ، ولم تشارك في عرسه ورفضت الالتقاء بزوجه ، وعاداه أيضا زوجها مازن ، ووصموه بالغادر الخائن .

وحبيبة تزوجت بعد تخرجها من كلية الطب من أحد الأطباء الذين التقت بهم في أحد المشافي التي عملت فيها ، فقد تزوجت بعد فارس بعام ونصف تقريبا ، وكانت سعيدة بحياتها الزوجية ولم تنظر لفارس بعداء كما فعل هؤلاء .

وكان جابر الحلواني يعلم أخبار الوالد بالذات من شقيقه الأكبر محمود ، فهو يعمل في بقالة صغيرة في الحارة .. وكان قديما يعمل مع أبيه في المخبز .. فلما تخلص محسن من المخبز وباعه فتح لمحمود تلك الدكان الصغيرة ، ومحمود قد تزوج قريبة له ، ولم ينجب منها لحتى اليوم ، وتعالج الرجل عند الأطباء المختصين بأمراض العقم ، ولكن الأمر بيد الله .

عندما عادت ثريا من حفل خطبة ابن زوجة أخيها حمدي ، وقد خلعت الثياب التي ذهبت بها للحفلة ولبست ثياب البيت ، وذهبت للجلوس في صالة البيت حيث يجلس زوجها فارس ، فسألها عن الخطبة والحفلة فقالت : الحمد لله إنك لم تذهب معنا.. رغم أنني غضبت وتضايقت من عدم مرافقتنا يا فارس .. واستأت لاعتذارك.

فقال مبديا الاهتمام والاستغراب : لماذا ؟!

قالت بضيق : أخوك جابر كان في العرس تصحبه قرينته .

فازداد دهشة وقال : جابر .. وما شأنه بعرس ابن زوجة أخيك ؟! هل دعاه أحد من أهلك ؟ أدعاه حمدي ؟!

ضحكت وقالت متهكمة : حمدي يدعو جابرا !.. هزلت .. ربما لا يكره حمدي أحدا في الدنيا ككرهه لجابر شقيقك .. حتى قبل مشكلتنا الأخيرة مع السيد جابر محسن .. فحمدي يبغضه منذ أيام خطبتنا .. كان مستاء منه ولموقفه المعادي لي .. وحمدي صريح .. هو لم يقل ذلك ؛ لكنه كاشفني بهذا الكره .. وحمدي شجاع ولا يحب النفاق .

ـ ولماذا كان الملعون في العرس ؟!

ضحكت ضحكة قصيرة وساخرة وقالت : كان هناك يا سيدي لأن العروس ابنة عم هناء زوجة جابر .. دنيا عجيبة .. صحبة جامعة .. فالعرسان مثلنا تماما يا فارس .. أنت تعلم أن أخي حمديا قد تزوج أرملة صديقه العزيز حسون .. فحسون كان عند حمدي أفضل منا ، ولا يكادان يفترقان ، وذلك منذ أيام المدرسة والجامعة .. وتزوج حسون فتاة من حارتنا .. كانت تعد من أجمل فتيات الحي كما يقال في تلك الأيام .. فعشقها الشاب واقترن بها وهما في أول سنوات الجامعة .. ثم تعرض لحادث سير بعد زواجهما مات على أثره ، وكانت قد ولدت طفلا ، وكانت حاملا في مولود آخر .. وكان أخي حمدي عازبا وتخرج من الجامعة ، وأراد أن يخطب فتاة وقبل الاتفاق النهائي التقى بزوجة حسون .. فترك مشروع الخطبة وتحول للأرملة متظاهرا بشفقته على أولاد صديقه من اليتم .. ومن الوفاء لصديقه رعاية أطفاله ، ولإبعاد الشبهات عن الزوجة إذا ذهب لتفقد الأولاد.. تقدم للزواج منها ، ووافق أهلها وهي على ذلك .. فتزوج حمدي من الأرملة فاتن .. وذلك كان قبل أن أشب وأدخل الجامعة .. وها هي اليوم تخطب لابنها وقد تخرج منذ أيام من الجامعة .

فقال فارس معقبا: أخوك حمدي إنسان طيب وجواد .. وقام بتربية أبناء صديقه .. وحسب علمي لم يقصر بشيء معهم .. بل علمهم في مدارس خاصة .. وها هو يزوجهم أو يزوج مرادا ابن فاتن

ـ وفاتن لم تقصر معهم ، فهي قد ورثت عن زوجها بعض المال هي والأولاد .. فأخي كان كالوصي عليهم .

ـ وها هو جابر أفندي أصبح نسيبا لأخيك حمدي .

ـ ليس بالضبط .. فمراد لا يمت لنا بقرابة .. إنما هو أخ لأم لأولاد حمدي .. وأنا لما رأيت هناء في العرس اضطربت واستغربت، ولكن أختي هند وضحت لي الصورة والسبب .. وعلقت قائلة إن جابرا مع أهل العروس مثل الديك.. تقول كأنه صاحب العرس

ـ ملعون جابر ، دائما عامل نفسه رأس وسيد ـ ووضع يده على خده ـ اللعين صفعني صفعتين كأنني ولد صغير .. لقد كانتا قويتين ظننت أنني سأموت .. اضطررت لفك رباط

العنق .. واللعين ما زال يتحدث أمام الناس بأنني سبب موت أمي بتلك الجلطة .. مع أنها هي أخذت تتكلم بحدة ، ولم تدع لي المجال لقول جملة واحدة .

وكان نحو هذا الحديث يدور في منزل جابر ، بعد عودتها من حفل خطبة بنت عم هناء زوجته فقالت : سبحان الله ! أرأيت يا سيد جابر ؟!

ـ قصدك خطيب رندا ؟

ـ نعم .

ـ نعم ، قد رأيت بعض أقارب ثريا .

ضحكت ضحكة مقتضبة وقالت : العريس يا سيدي ابن زوجة شقيق ثريا السيد حمدي .. وأنت تعرف السيد حمديا .. فحمدي هذا قد تزوج امرأة صديقه حسون والد مراد عندما مات قديما .

ـ الحمد لله تعالى أن فارسا لم يحضر الحفلة .. لو رأيته ربما ضربته أمام الناس ، ونسيت نفسي أنني في عرس وأجرمت فيه .. فلليوم أبي غاضب عليّ من أجله .. قاتل زوجته فاطمة .. قاتل أمي ما زال أبي غاضبا له .. فأكرر الحمد لله أنه لم يحضر وإلا فعلت به الأفاعيل ، ولن يفلت من يدي عندما التقيه سأمسح بكرامته الأرض.

ـ إنه أخوك يا جابر .. وأكبر منك سنا .. ولماذا تحمله مسؤولية موت أمك؟.. أمك ـ رحمها الله ـ كانت مريضة من قبل .. وخديجة ضايقتها جدا عندما عاتبتها عن عدم مجيء الدكتور والهانم لحفل زواج ابنها عصام .. مما دفعها للاتصال بثريا وشتمها ولعنها وقذفها بألفاظ قبيحة .. لا يحتملها بشر .. كان عليكم ويجب عليكم تخفيف وتهوين الأمر .. حتى تهدأ النفوس ثم يجري العتاب .

فضحك الرجل ساخرا وقال : أرى أن زواج ابنة عمك غير أخلاقك نحو ثريا وأهلها .

صاحت به محتجة : أخلاقي كما هي .. أنتم أخوة .. أهل.. وأنت أخطأت بصفعه يوم الوفاة ، ولو كان الرجل عنيفا لأساء إليك ..

فارتفع ضحك جابر وازداد سخرية وتهكما وقال : صار لي أعداء في داخل البيت .. وأنا

متحمض عليه من زمان من أيام رفضه الزواج بابنة عمنا محمد .. وجاءت فرصة لأهانته وتهزئته أمام كل العائلة ذكورا وإناثا صغارا وكبارا ..هو لا أحد أخذ الدكتوراه في العالم إلا السيد فارس .. أنا لم أتعلم ؛ لأنني كرهت المدرسة ، ووجدت مستقبلي في السوق في المهن الحرة .. وكان لقائي بوالدك خيرا ، فعلمني هذه الصنعة والتركيبة ..

فقطعت حديثه قائلة : ولكن يا جابر الجامعة والشهادة شيء مهم .. كان عليك احترام أخيك الأكبر منك وعدم إغضاب أبيك واختصار المشاكل .. ألا تحب أن ترى خضرا في الجامعة ودكتورا مثل عمه ؟!

واشتد النقاش والجدل بين الزوجين ، وكان نهايته أن جابرا نقم عليها وطردها من البيت ، وطلب من خضر أن يوصلها لبيت أبيها .

وكان لجابر منها أربعة أطفال أكبرهم خضر ، وثلاثة فتيات ، فحملتهم الأم جميعهم وغادرت البيت في سيارة أجرة .

الطلاق

غضب والد هناء عندما دخلت عليهم ابنتهم في آخر الليل تحمل أولادها مطرودة من بيت زوجها ، غضب غضبا شديدا ، وحلف يمينا مغلظا أن لا يعيدها له حتى تحفى قدماه من الترجي والندم ، ولما سمع جابر محسن بذلك التحدي واليمين رمى عليها يمين الطلاق .

وحاول شقيقه محمود لملمة القضية والسعي في الصلح بينهم ، وهناء لما علمت بيمين الطلاق رفضت الصلح رغم تدخل أهل الخير والإصلاح ، ولما مضت بضعة شهور ، ولم تحل القضية صلحا تفاجأ الجميع بزواج جابر من امرأة مطلقة له بها معرفة ، قد عملت معه في المصنع فترة من الزمن ، ثم فتحت دكانا صغيرا لنفسها .

فعرض نفسه عليها فقبلته فورا ، وقبله أهلها وسكن في بيت في حيها ، وترك بيت حي ياقوت جوهر .

ولما وصل الخبر لوالد هناء قال لابنته : ها هو زوجك اللعين العاق ركب رأسه وتزوج .. ماذا سنفعل بالأولاد ؟

ـ ألم ترفع عليه قضية نفقة شرعية من أجلهم ؟

ـ رفعت ، وهو يدفع ، وهو مستعد أيضا لأخذهم عنده كما قال شقيقه محمود إذا تنازلت عنهم فأخذت بالبكاء ، ثم قالت : كنت أظن أنني أسعد امرأة معه ؛ ولكنه منذ وفاة أمه قد ركب رأسه ، وركبه جيش من الشياطين والأبالسة .. فازداد عصبية .. ودائما يسب فارسا وثريا .. ومرت الأيام وهو يزداد حقدا وكرها .. ولما خطبت ابنة عمي قريب لزوجة شقيق ثريا اشتعلت النار في قلبه أكثر .. جن الرجل يا أبتي !

ـ على كل حال إذا أنت راغبة ببقاء الأولاد معك فلن نقصر معهم .. وسأشتري لك شقة وتعيشون فيها .. وإذا كنت راغبة بالعودة كزوجة ثانية .. فاللعين كما قال محمود جاهز من أجل الأولاد أن يتزوجك ، ويعقد عليك ثانية ، بس بدون معاشرة زوجية زوجة بلا زوج .. وأنا عندي حل آخر

فقالت بلهفة : حل آخر ما هو ؟!

ـ أن تتخلي عن الأولاد ، وأزوجك رجلا آخر من معارفنا وأصدقائنا ؛ لأنه إذا تزوجت سيطلب حضانة هؤلاء .

فقالت بغضب وضيق : لا أريد العودة إليه .. ولن أتزوج آخر يا أبي .. اشتري لي شقة .. وأنا سأعمل فأنا أحمل شهادة متوسطة وأستطيع أن أصرف على نفسي والأولاد .

فقال الأب بحزن وعطف : الخير موجود يا بنيتي .. ونحن نعمل ونجمع المال كل هذه السنين لماذا ؟ لن نأخذ معنا منه شيئا إلى القبر .. أنا تهمني سعادتك وراحتك .. فنحن أهلك .. أيام معدودة بإذن الله عزّ وجل وستكون الشقة هدية مني إليك

وقامت هناء معانقة لأبيها وهي تمسح دموعا تساقطت على وجنتيها أثناء هذا الحوار المفصلي في مستقبل حياتها .

ذات ليلة وبينما الدكتور فارس يهم بمغادرة الفيلا التي يسكن فيها وقفت سيارة صالون أمام البيت ، فلما رأى وعرف من فيها أصابه رعب واضطراب ، ووقف هو وزوجته على الباب ، فنزل من في السيارة أمامه ، وهما أخته خديجة وزوجها مازن ابن عمه فألقيا عليهم السلام ، فتمتم فارس بالرد وبصوت منخفض ليخفي اضطرابه وقلقه ، فقال مازن بصوت مرتفع : نحن على موعد يا حضرة الدكتور .. أتريد الهرب ؟ نحن اتصلنا بالسيدة ..أنتكلم في الشارع أم ندخل ؟

قالت خديجة : آ .. رد يا فارس ..

فقال بصوت ضعيف : نحن على موعد .. ولم نوافق نحن على الموعد على زيارتكم .. أنتم حددتم الوقت بدون موافقتنا .

رد مازن : ليس مهما موافقتكم .. وليس مهما أن ندخل بيت الدكتور .. لسنا مشتاقين لرؤية ابن عمنا وحرمه المصون .. بنت الباشوات .. نحن جئنا لنقول لفارس أفندي.. إن والدك يرغب برؤيتك .. ولقد دمرت حياة أخيك جابر بتكبرك ونفختك ؛ كأنه لا يوجد أحد تعلم في هذه الدنيا إلا فارس محسن جابر .. فيا رجل أختي حبيبة طيبة وأفضل منك .. وأنت لا تستحقها أصلا ..أبوك عادى جابرا من أجل خاطرك .. من أجلك أنت .. من أجل أن تعود إليه .. ومن

يوم الصفعة وأنت لم تره ، ولم تزره يا حضرة الدكتور .. وجعلنا نحن السبب في هجرك له .. وكأننا نحن طلبنا من جابر أن يعتدي عليك أن يصفعك أمام كل العائلة .. أختك دليلة وأمينة وحميدة كلهنّ خاطبنك وترجينك بالحديث مع الوالد محسن والذهاب لزيارته .. والرجل منذ وفاة أمك .. منذ وفاتها بسببك وهو متعب .. وهذا الخباز الذي تستعر منه هو أبوك .. هو باع المخبز من أجلك .. وكل زملائك في الجامعة يعلمون أن أباك كان أجيرا في مخبز ، ثم تملك المخبز ، ثم باعه من كثرة تذمرك .

لم يتكلم فارس بكلمة ظل محدقا بمازن فقالت خديجة لثريا بغيظ وهي تشير إليها بأصبعها السبابة : أنت رأس الفتنة .. أنت إبليس نفسه .. أنت التي تفسدينه على أهله .. تخافين أن نأخذه منك .. حبيبة تزوجت رجلا أفضل منه عشرات المرات .. أنا أخي فارس أعرف أنانيته منذ كان على مقعد المدرسة .. أبوك راغب برؤيتك قبل موته يا نجس .. وبصقت في اتجاهه وقالت : امش يا مازن .. هذا حيوان ونذل .

فقال مازن وهو يلوح بيديه مهددا : يا ويلك إن لم تذهب لوالدك ومات قبل أن يراك .. فأبوك يحملني أنا عقوقك له وهجرك له .. عمي مسكين . وبصق هو الآخر اتجاه الأرض بشدة وانصرفا .

نظر فارس إلى زوجه وبناته وقال : لا داعي للخروج الليلة .. هذه بلدة لم يعد لنا فيها مقام مع هؤلاء الأنذال .



حادث

أخذ فارس محسن يخلع ثيابه بعد أن تعرض لتلك البهدلة والتحقير أمام بيته من قبل زوج شقيقته وأخته الكبرى ، فلما جلس في صالة البيت كانت ثريا قد أدخلت البنات لغرفة النوم وعادت فقالت قبل أن تجلس : هل تشرب قهوة يا فارس ؟

هتف شارد الذهن أو مصدوما: فكرة ! أنا في انتظارها .

وأشعل سيجارة ، وكان يفكر بالتهديد الذي تلقاه من مازن وخديجة فهمس لنفسه : أأذهب وأتصالح مع أبي ؟! أبي وقف معي ضد جابر .. وموقفه الحاد من جابر يدل على أن جابرا تصرف من تلقاء نفسه ضدي .. ولكني تعرضت للإهانة في بيته وأمام أغلب أفراد العائلة الكبرى والجيران .. كانت صفعة شديدة صدمت وشللت منها ..أبي أعتقد أن لا دخل له في ضربي وصفعي .. مازن رجل عنيف .. شرس .. وحش ! هو ابن عمي محمد .. أكبر أشقاء والدي كان لا يحترم أباه وهو حي ..

جاءت ثريا بالقهوة ووضعتها أمامه قائلة : تفضل ..إنك سارح الفكر يا فارس

التفت لكوب القهوة وقال : نعم .. كنت أفكر بتهديد مازن

ورشف رشفة وعاد يحادث نفسه : أنا كنت أتعجب من حياة خديجة معه .. لقد كان يضربها أحيانا كثيرة .. يضربها كما يؤدب الطفل .. ويهينها أمامنا دون أية حياء منا .. ثم يتصالحان ويضحكان ؛ كأن شيئا لم يحدث بينهما .. وعندما نثور ونحتج تطلب منا السكوت وعدم التدخل

رشف رشفة ثانية وأشعل سيجارة جديدة وقال لنفسه : لقد وقع في قلبي أنه سيضربني في الشارع وأمام البنات والمرأة .. لديّ مسدس عليّ حمله من اليوم فصاعدا .. هل أستطيع إطلاق النار ؟ أأنا أستاذ الجامعة استعمل المسدس ؟!

قالت ثريا وهي تضع فنجانها بعد أن شربته : بماذا تفكر؟ هل ستذهب لأبيك ؟

نظر إليها لحظات ، ثم تابع شرب القهوة حتى فرغ الكوب ورد : أفكر بالقتل !

جفلت وقالت بخوف : القتل ! قتل من ؟!

ـ قتل مازن .. ابن عمي .. لقد بصق في وجهي أمامكم .

ـ أرجوك يا فارس لا تقل مثل هذا الكلام .. الحيطان لها آذان .. لو أصابه شر لتهموك به .. فكر بالسفر خارج البلد .. تعاقد مع جامعات خارجية .

ـ أتخافين من القتل ؟ لم يبق لي كرامة .

ـ أرجوك دعنا من الكرامة والشرف .. منذ تزوجنا وأنا أضطرب كلما أراه ينظر إليّ وأشعر بحقده وكرهه لشخصي ..وأحس بأن نارا تخرج من عينيه نحوي .

ـ وأنا أكرهه أكثر منك ..أنا أكرهه منذ صغري .. عندما كنت أشاهده يضرب خديجة .. كنت أكاد أجن ؛ ولكنها تصيح بوجهي : اسكت لقد تعودت على ذلك .. وأبو عصام رجل عصبي المزاج ومتهور ..



ـ إنه وحش يا فارس .. ما العمل بها طلب ؟

ـ لقد كانت صاعقة في بيت أبي .. وكانت تهمة شنيعة .. اتهمني أمام العالم في بيت أبي بقتل أمي ولم يدافع عني أحد ؛ كأنهم مقرون بالتهمة ..أنا سبب موت أمي فاطمة ؟!

وفجأة رن الهاتف فمشى إليه وهو يقول : من يا ترى؟!

فرد وقال : محمود .. أهلا أخي محمود .. نعم مروا عليّ قبل ساعة .. تحدثنا قليلا أمام البيت في الشارع .. أبدا لم يدخلا البيت .. لا أدري أين ذهبا ؟ .. كيف حال الوالد؟ سلم عليه سأزوره قريبا

ووضع السماعة وشرب ما تبقى في كوب القهوة البارد وقال : يسألون عن المجرم .

ـ أحسن واحد في إخوتك محمود .. فهو مسالم وطيب .. ولكنه بغير ذرية .. مسكين !

ـ مريض بالعقم والضعف المنوي .. تعالج ولم ينجح معه العلاج .

ثم عاد الهاتف للرنين ثانية فقامت ثريا وردت ، وكان المتحدث ثانية محمود وأخبرهم أن السيد

مازنا وخديجة قد تعرضا لحادث صدم بعد ابتعادهم عن بيتهم .. وحالة خديجة صعبة فالضربة كانت من جهتها .

بعد انتهاء شهر واحد على حادث مازن وخديجة كانت المرأة قد نجت من الموت ، ولم يكن الأجل قد حان ؛ ولكنها أصيبت بشلل جزئي أضعفها عن القيام بواجبات الأسرة ، وعليها أن تستمر بالعلاج الطبيعي للأعصاب والعضلات .

أما السيد مازن فكانت إصاباته خفيفة ، فتحسن وضعه خلال ذلك الشهر المنصرم ، وكان قد صدم عندما علم أن فارسا لم يذهب لبيت والده ، ولم يكترث لتهديد ، وتعجب من شخص هذا المخلوق ، وقال في نفسه حانقا : لابد أنه سر للحادث الذي أصابني ، ولابد أنه توقع موتي تعجب من عقوق هذا الرجل لأبيه ، وهو يصر على هذا العقوق ولا يبالي بواسطة وشفاعة أحد فقال معزيا نفسه : ولكنه أخبر شقيقه الأكبر محمودا أنه سيتصل بأبيه ويزوره وقد مضى الشهر ولم يتحرك الرجل .

فلما اطمئن على خديجة اتصل بالسيد فارس في جامعته ، ولما سمع فارس صوته أغلق الهاتف فورا بعد أن طلب منه عدم التدخل بينه وبين أبيه .

وكان الرجل فعلا راغبا بزيارة أبيه وبيت الوالد كما أخبر شقيقه محمودا ؛ ولكنه مع حادث خديجة وعلمه بوضعها الخطير جبن وخار عن الذهاب ، ربما توقع الأسوأ لها ، فقد رفع السماعة أكثر من مرة ليتصل بأبيه ، ثم يضعف عن فعل ذلك ، فيسمع همسا في كيانه يقول : إنك متكبر ..إنك ساخط على أبيك الخباز ..لأنه خباز .. ألم تطلب منه أكثر من مرة أن يترك هذه الصنعة ؟ وأنت على مقاعد الجامعة واعتبرتها حرفة مهينة .. ألم تقل له يوما يا أبي لم تعد هذه تناسب وضعنا الاجتماعي؟ .. ولما أنهيت الماجستير باع والدك المخبز ، واشترى لمحمود الدكان يقتات منها ، وجلس محسن في البيت .

وقال لنفسه : لماذا عاد هذا الحوار الآن أيتها النفس؟! .. رغم تركه المخبز من أجلي بخلت عليه بالمال بزعم الدراسة والزواج .. وسكت الأب والأم .. هل أنا مقصر معهم ؟! .. لم يكن أبي بحاجة لمالي ولا حتى مال إخوتي .. عندما أعاد بناء البيت القديم لم أقدم له شيئا .. بزعم أن

جابرا ومحمودا يعيشان معه وهما قادران على المساعدة .. يا الهي !

هل ماتت أمي بسببي حقا كما يزعم ذاك الشيطان ؟ ثريا لم تطلب مني يوما إغضاب أمي أو أبي أو التمرد على قوانين العائلة .. أو تمنعني من زيارتهم .. كنا نزورهم سوية .. صحيح كانت زيارتنا قصيرة .. كنت مشغولا في الدراسة والتدريس .. كان الوقت ضيقا لديّ .. لابد من زيارة سريعة لأبي .. هذا مازن وحش .. سيظل يتصل بي هنا حيث أحاور نفسي الآن .. وفي البيت .. آه ! وتنهد بعمق وقال : لماذا لم يمت في هذا الحادث لارتاح منه ؟وهل الموت يريح الناس ؟!

عاد ليلة متأخرا وكثيرا ما يعود للبيت متأخرا خلال السنوات الأخيرة ، ولما عرضت عليه ثريا العشاء قال : هل أكلت البنات ؟

كان لفارس بنتان الكبرى سلوى ابنة تسع سنوات، والثانية حسناء ابنة أربع سنوات ، فردت الزوجة : نعم، ونمن ، ولا داع لإيقاظهن .. انتظرناك .. ولما أدركنا أنك ستتأخر أكلن بعض الحلوى ونمن على أمل رؤيتك في الصباح قبل ذهابهن للمدارس .

ـ أحسنت ، اذهبي وتعشي ، لقد كنت في ضيافة صديق وزميل في أحد مطاعم المدينة .. وأصر على مشاركتي طعامه.

فردت بجفاء : لست جائعة .. أتشرب الشاي أم القهوة ؟

ـ الذي يناسبك .

فلما عادت بالقهوة وبدأ الشرب فقالت : ماذا فعلت بشأن الرحيل ؟

ـ أنا لست متشجعا إليه كثيرا .. فأنا أحاول الانتقال لمدينة أخرى .. وربما تكون مدينة نصر .. ففيها جامعة مهمة .

قالت كأنها متهكمة : وكم تبعد نصر عن جوهر ؟!

ـ تزيد عن مائتي كيلو متر

ـ وهل يدعنا أهلك بدون منغصات وتلفونات ؟!

فقال ببعض الحدة : يا سيدتي لو سافرنا القمر سيتصلون وسيزعجون .. فكلما ألم وجع بالسيد

محسن أو دخل المستشفى .. أبوك في خطر أبوك سيموت .. يريد أن يراك .. وأنا لماذا لا أريد زيارة أبي؟ حتى لا يعود الحال القديم .. هؤلاء الناس يظنون أن الدكتور في الجامعة وقته فراغ ويظنونه كالمدرس أربع خمس ساعات وفرط الدوام .. لا يدرون أن هناك محاضرة في الصباح وأخرى في المساء

ـ سفر لا يوجد ؟

ـ يوجد ؛ ولكن ليس الآن .. سيكون بعد وفاة الحاج محسن .. عليّ إعداد بحث لمؤتمر قريب وكذلك محاضرة .. فأريد أن اشتغل بهما .. أنت تابعي أفلامك وقصصك .. آ .. ما آخر قصة قرأتيها ؟ ..ألا تفكرين بالعودة للعمل والوظيفة ؟ إذا كنت تشعرين بالملل والضجر .

فردت بملل من الحديث : أنا منذ ولادة حسناء كرهت الوظائف ..

السيدة ثريا هي خريجة كلية الاقتصاد وتحمل شهادة سكرتارية .. وتعرفت على فارس أثناء اشتراكهم ببعض المواد الدراسية ، وكان فارس يسبقها بعام دراسي واحد ، وبعد تخرجها عملت في شركة تجارية ، ولما ولدت ابنتها سلوى فارقت العمل بضع سنين ، ثم استعانت بخادمة في البيت ، وعادت للعمل كسكرتيرة في أحد المصارف ، ولما حملت بحسناء تركت العمل واستقرت في البيت ، وعمر حسناء اليوم فوق الأربع سنوات .. فلما سمعت زوجها يحثها للعودة العمل خشية الملل والوحدة في البيت فقالت : ونعود للمشاكل مع الخادمة .

فقال : قلت إذا عندك وقت فراغ ، ومللت البقاء في البيت وقلّت زياراتك فالعمل لا بأس به .

ـ لقد فكرت بالعمل قبل وفاة والدتك قبل سنة .. ولكني لم أتحمس له .. لديّ رغبة بمغادرة البلاد كنت آمل أن تسافر .. لقد مللت هذه البلد

ـ المشاكل طبيعية .. الحياة لا تنتهي هنا أو هناك يا ثريا .. الأعداء والخصوم لا ينتهون .

ـ أفكر بالحمل يا فارس .. ها هي حسناء تقترب من الخمس سنوات .. ألا يكفي انتظار ؟ ألا تريد ذكرا يحمل اسمك ؟ لديّ رغبة بولد ذكر يا فارس .

ـ قلت لك طفلان فقط .. لا فرق عندي كما ذكرت لك أكثر مرة بين ذكر وأنثى .. سلوى وحسناء وكفى .. أتريدين أن أصير مثل محسن جيش من البنات والأولاد ؟

ـ كلكم سبعة أنفار .

ـ هؤلاء الذين عاشوا .. أمي كانت تتحدث عن موت ثلاثة آخرين .. نحن اتفقنا يا ثريا من أيام حبنا الأول على طفلين فحسب .

فقالت برجاء : بس ولد !!



كانت حبيبة عائدة من بيت أخيها مازن وقد صحبها زوجها خالد موسى في تلك الزيارة الخاصة لأخيها وزوجته المريضة خديجة ، ولما تعشيا العشاء الخفيف كما تعودا ، وأخذت الخادمة الأولاد للنوم جلس الزوجان في صالون البيت ، فقال خالد وهو يترك كوب الماء على منضدة صغيرة أمامه : أخوك مازن ناقم جدا على ابن عمه فارس .. اشتكى منه كثيرا .. كل الجلسة شكوى منه ..

ردت حبيبة قائلة : رغم أننا متزوجون أنا وأنت منذ أكثر من عشر سنوات ما زال أخي حاقدا عليه ؛ لأنه لم يتزوجني .. والكل منهم يقول الزواج قسمة ونصيب وقدر.. مازن كان يعتقد أنني سأكون زوجة لفارس كما أنه زوج لخديجة .. ولما أحب فارس تلك الفتاة التي تزوجها بعد تخرجه من الجامعة ، وعلم مازن بذلك أصابه جنون ، بل لوح بتطليق خديجة إن لم يتزوجني فارس .. كنت أنا أيامها أدرس في الكلية .. لم يكن بيني وبين ابن عمي علاقة خاصة .. كنا كأولاد عم وأقارب وجيران .. كنا نسكن في حي واحد قبل رحيل أبي لضيق المكان فيما بعد .. فلليوم يبدو أن السيد مازنا غير مقتنع أنني متزوجة من حضرة الدكتور خالد

ـ كلها أخبار قديمة والزواج قدر .. والدكتور فارس مرتاح مع زوجته .. وأخوك للأسف يعتبر حادث زوجته خديجة أن سببه فارس ؛ لأنهما كانا في زيارته وتهديده للصلح مع والده .. والرجل لم يستقبلهم الاستقبال اللائق ، بل كان حديثهم على باب الفيلا على رصيف الشارع ويفتخر أنه حقره وشتمه وبصق عليه في الشارع وأمام زوجته وبناته .

قالت حبيبة : أخي مازن عنيف وأخلاقه فيها خشونة .. لا أدري لماذا كل هذه الأحقاد والمشاجرات ؟! .. كل إنسان حر في زواجه وحياته .. وأنا كذا مرة ذكرت له أنه ليس بيني وبين فارس رباط أو كلام في الزواج .. لاعتبره غدر بي أو خانني .. فالرجل اختار .. لم يرفضني أو أنه كان يحبني كعروس الغد .. وإنما هذا كان كلام الكبار .. كأبي وعمي .. وكان الشاب يتردد علينا بحكم القرابة ، وبحكم زواج مازن من شقيقته .. ولم نأخذ كلام الكبار على محمل الجد .. بل لما التحق بالجامعة لم نعد نراه في البيت إلا نادرا .. وكان مازن هو الذي يدندن حول زواجي

من فارس .. فارس لحبيبة وحبيبة لفارس .. فلما لم يحصل النصيب ؛ كأنه تعقد وأحس أن فارسا غدر به ، وأن كرامته سقطت في الوحل .. ووقفت خديجة معه مؤيدة بحكم أنه زوجها ، ولترسخ ذلك في ذهنها ظانّة كغيرها أن الرجل فارس أحلامي ومتلهفة للاقتران به .. وأنا لم يكن بيني وبين الرجل شيء يا خالد .. ولا حتى رسالة أو كلام فارغ ممن يسمونه الحب .. وحتى جلساتنا كانت جلسات عائلية في غاية الاحترام والحشمة .. وكان الرجل ذكيا وحديثه ممتعا ؛ لأنه قارئ نهم وجيد .. فكان يقرأ ويقرأ .. فكنا ننبهر بمعلوماته لصغرنا فهو يكبرني بسنين .. ولما دخل الجامعة قلّت زيارته لبيت العائلة .. ولما دخلت الجامعة مثله زادت ثقافتنا ومعلوماتنا ..

ـ أنا ليتني مرة أقابله، ولا يجعل من عداوته لفارس موضوع حديثنا يا حبيبة ..آه ! إذا كان معنا جابر تحلى الجلسة .

تبسمت وقالت : جابر ..أيضا تعصب لخديجة ومازن .. واعتبر ترك فارس للزواج مني إهانة كبرى للعائلة كلها .. فكان من الجوقة التي اشتد غضبها ونقمها على فارس .. ولكن لما دخلت أنت على الخط خفت الحملة بعض الشيء على فارس .. وما زالت النار مشتعلة للأسف رغم مرور عشر سنوات على زواجي منك .. فالحقد عليه يجمعهم ويربطهم .. وأن إهانة حلت بهم جهل .. جهل .. حقيقة لمت مازنا أكثر من مرة ؛ لأنه هو المتعلم منهم ، فهو متخرج من الجامعة وإن احترف العمل في بيع وتجارة السيارات وتعلق بها من العمل مع أخواله .. ولكن لما اتركه ينسى ما لمته به .. ويعتبر كلامي كلاما في الهواء والفضاء .. والنساء عنده لا شيء حتى لو تخرجن من أكسفورد .

فقال خالد : أنا وربما لاحظت أحب التهرب من لقاءات شقيقك الفردية لكثرة حديثه عن عدوه فارس ورفضه نكاحك.. وهو للأسف ينسى أنه يتكلم مع زوج حبيبة .. ولا يعجبني هذا الكلام .

ـ يا سيدي لا تهتم به .. نحن لولا مرض أم عصام لما زرناهم .. فزيارتي لهم في المناسبات لا مهرب منها .. ولكن يا عزيزي لا أستطيع منعهم من زيارتي والمجيء إلينا بحكم القرابة

وبحكم أننا أطباء .. فأقل الناس تواصلا اجتماعيا مع العائلة هو الدكتور فارس .. فهو للأسف منذ أساء له جابر يوم وفاة امرأة عمي لم يزر والده ، وحتى أسمع أنه لا يحدثه بالهاتف .. هدى الله الجميع وغفر الله لهم .. رغم كثرة الشفاعات فما زال السيد حاملا على أبيه زاعما أنه وراء تطاول جابر عليه وصفعه مرتين أمام الناس .. وأن زعله على جابر تمثيل في تمثيل .. ومشهد مسرحي



اتصلت خديجة محسن بزوجها في متجره معلمة إياه أن والدها وعمها سالما في انتظاره في البيت لأمر هام .

فترك المتجر عائدا للبيت وهو في حيرة من هذه الزيارة في نصف النهار ، فرحب بهما، وتظاهر بالسعادة برؤيتها وهو متوجس خيفة منهما ، وبعد المجاملات التقليدية قال مازن : عسى أن يكون مجيئكم لأمر طيب ؟!

تنحنح محسن ثم قال : أنا يا مازن عتبان عليك .

لم يرد مازن إنما زاد تحديقه في وجه عمه ، فتابع محسن الذي زاد عن الستين سنة من العمر قائلا : هل أنا يا ابن أخي طلبت منك الذهاب لفارس لتهدده ليزورني ويتحدث معي ؟!

فنهض مازن قائما وقال : ويلاه ! .. وهل أنتظر يا عمي العزيز حتى تطلب أنت مني ذلك ؟! الرجل لم يبق عنده ذرة حياء .. هو لم يأخذ أحد الدكتوراه في الدنيا إلا فارس ؟ ذهبت أنا وهذه المسكينة ـ مشيرا لزوجته ـ لنصحه وإرشاده وتذكيره بحقك .. فهو يزعم أنك أنت الذي دفعت جابرا لصفعه أمام العائلة ويتهمه بقتل أمه بالجلطة التي أودت بحياتها .

فلما سكت فقال العم سالم : اهدأ يا ابن أخي .. وعد للجلوس .. نحن نعلم قصدك الشريف ولكن علمنا أيضا أنك أهنته ، وبصقت على اتجاهه في الشارع وهددته .

فصاح مازن معترضا : إذا الواحد رفع صوته على ناس فهل معنى هذا تهديد ؟ أنا ضقت ذرعا

من فعله وهجره لعمي وقد طال الهجر .. قد بلغ العام .. والرجل غير مبال وغير مكترث .. وكثيرا ما أسمع عمي يقول : لماذا لا يأتي فارس ؟ ماذا فعلت له ؟ ألم أغلق المخبز من أجل خاطره ؟ ألم .. ألم ... ؟ فحز هذا كله في نفسي .

ـ والبصق ؟!

ـ لقد رفض دخولنا بيته للمعاتبة .. أنا وأخته الكبيرة .. تصور هذا التصرف ، هذا الموقف اللئيم يا عم .. نحن نحل مشاكلنا في الشارع .. بل كان يسعى للفرار .. لا يريد مقابلتنا .

فقال محسن : يا ابن أخي أنا رجل كبير وبمقام والدك الغالي محمد جابر ـ رحمه الله تعالى ـ فأرجوك وأرجوك لا تتدخل بيني وبين فارس وغير فارس ..

احتد مازن وصاح : هو اشتكى لك ..

فقال سالم : لم يشتكِ أحد يا مازن .. إنما علمنا بهذه المعلومات من ابن عمك محمود .. ومحمود علم ذلك من ابنك عصام .

ـ ما المطلوب من يا عمي ؟ عدم التدخل بين العم وابنه العاق اللعين .. حاضر يا عمي ـ ووضع يده اليمنى على رأسه ـ .. أنا أصلا طول عمري أكره هذا الفارس العاق القاتل لأمه .. سأبتعد عن حياته .. وأنا أشفقت عليك يا عم محسن .. فجابر حردان .. وفارس حردان .. لم يعجبني هذا الحال والكل يتفرج .. اعمل خيرا تلق شرا ..

فقال محسن محاولا تهدئة الوضع : يا عم جزاك الله خيرا على نيتك الصالحة

وقال سالم : يا ابن أخي الزمن كفيل بإصلاح الأمور .. وسعيك مشكور

فقال مازن : على كل حال أنا آسف يا عمي محسن ويا عمي سالم أنتم كبار العيلة ماذا أقول ؟

غضب مازن

بعدما رافق مازن أعمامه حتى باب البيت ، وركبوا السيارة عاد إلى حيث كانت خديجة تجلس وكلها رعب وتوجس فهي أعلم الخلق بسلوك زوجها وعنفه ، فقال بنبرة غاضبة : أرأيت عاقبة السعي في إعادة فارس للأسرة ؟! أرأيت الحسد والغيرة ؟ ألم أقل لك دعينا من فارس وأبي فارس ؟

حاولت خديجة التخفيف من حدة وغضب زوجها ، ولكن لطبعه الخشن صب غضبه ونقمته على زوجته المريضة العليلة ، وهي تترجاه أن يهدأ وأنها تتعهد له بعدم التدخل في شؤون فارس وغير فارس .. ولما احتدم الصراخ والغضب فزع عصام هو وزوجته على الصياح وبكاء أمه . ولم تجدِ دموع وبكاء خديجة في تخفيف سخطه ، حتى أن الشجار وصل لعصام الذي تلقى صفعة قوية من يد أبيه نتيجة حشره نفسه بينهم ، فاشتد غضب عصام وهدد بترك بيت العائلة فما كان من رد مازن إلا أن قال : مع ألف قلعة .. نرتاح منك ومن المصروف عليك .. هو الكراج الذي تعمل فيه يطعمك خبزا .. اغرب عن وجهي .

عادت خديجة للتوسل والرجاء لتهدئة الحال ، ولكنّ عصاما ركب رأسه وأصر على ترك بيت العائلة ، وأنه ليس بحاجة لقرش منهم .

وكان خلال أيام يغادر بيت العائلة إلى بيت استأجره ، ولم يهتم ويكترث لدموع أمه وتوسلها لخزي الشيطان .

ولما عاد مازن في مساء ذلك اليوم واخبر أن ولده البكر رحل عن البيت قال لخديجة : هذا ما جنيناه من التدخل في شؤون فارس اللعين .. الحادث الذي عطلك عن الحياة الزوجية .. وأبعد الولد عنا .. فاعلمي يا ابنة العم أنني صممت على الزواج .. وعليك أن ترحلي أنت وبنيك للحياة مع السيد عصام ما دام قد صار رجلا ويقدر يفتح بيتا .. وأنا سأبحث عن زوجة جديدة وإذا لم يعجبك هذا القرار فالمحكمة بيني وبينك .. أنا بحاجة لامرأة .. أنا رجل كهل .. لا استطيع الحياة مع امرأة عليلة تحتاج لمن يخدمها .. وامرأة ابنك تخلت عنك .. أريد امرأة أخرى قالت بانكسار : افعل ما تشاء يا ابن عمي .. تزوج .. من حقك الزواج .

بعد مضي أسابيع على خروج عصام من بيت أبيه مازن حتى سمع الناس أن الرجل قد خطب امرأة جديدة قد تخرجت من الجامعة حديثا ، ولما سأل محسن ابنته عن السبب قالت : أنت السبب يا أبي . قال محسن دهشا : أنا ؟!

ـ نعم ، أنسيت لقاءك والعم سالما بمازن ؟ وقد حذرته من التدخل بينك وفارس .. فلما انصرفتما صب جام غضبه عليّ يا أبي .. واعتبرني زوجة غير صالحة مشلولة ، وهو بحاجة لزوجة حتى لا يقع في الحرام .. فتدخل عصام لفض الخلاف بيننا فطرده من البيت وأسكنني محله .. فكل هذا من تحت رأس فارس .. فهو لعنة من اللعنات يا أبي .

ـ لا ، وألف لا ، هو اتخذ ذلك ذريعة للزواج ، فهو كان يلحن ويدندن للزواج منذ أصبت بالمرض .. وهو كان عامل نفسه شيخا علينا يا خديجة .. فلما طلبت منه الكف عن التدخل بيني وبين أولادي .. حسم أمره وتمرد .. على كل حال يا بنتي الرجل القوي لا يستطيع أن يبقى بغير زوجة .. وأنت لا تحبين لزوجك الزنا والفاحشة

ـ الحمد لله يا والدي أنا قبلت ورضيت بنصيبي وقدري .. ولولا وجود الأولاد الصغار لربما طلقني ورماني في الشارع .

ـ بيتنا يسعك يا أم عصام .. هذه الدنيا وتقلباتها .. علينا الرضا بالمقسوم والمقدر ..لا يكمل الإيمان إلا بالتسليم للقضاء والقدر .. فالحلال أفضل وأشرف من الحرام فمازن ليس كأبيك العجوز ليس له رغبة وإرب في النساء .. فتحملي .. وأعود فأقول بيتي بيتك ومالي مالك .. وهو يبقى ابن عمك ووالد أبنائك .. اصبري اصبري واتقي الله .

تزوج مازن واسكن زوجته الثانية في شقة زوجته القديمة ، وقنعت خديجة بالحياة في ظل راجل كما يقال .



خيانة

ذات صباح كان حمدي جُد شقيق السيدة ثريا متجها إلى عمله كعادته ، وكان عليه قضاء مهمة للعمل في منطقة قريبة من سكن فارس قبل أن ينطلق لمكان عمله ونشاطه ، ووجد أن لديه متسعا من الوقت بأن يمر على بيت شقيقته لشرب كوب قهوة أو شاي ، ويتحدث معها ويسمع أخبارها ، وهو يعلم أن ثريا لابد أن تكون في البيت في مثل هذا الوقت الباكر.. لأن الوقت لم يكن وقت زيارات خارجية فما زال النهار في أوله.

ولما اقترب بسيارته من مدخل فيلا فارس شاهد شخصا يدخل الفيلا مرتديا لملابس أنيقة ، فظن للوهلة الأولى أن فارسا ما زال في البيت لم يخرج لجامعته ، فتحمس للدخول أكثر ، فركن السيارة على طرف الشارع ثم مشى نحو الفيلا .. وتطلع حيث الموقف الخاص بسيارة فارس فوجده فارغا .. فدخل ولم يقرع الجرس ، وقد وجد باب الفيلا الداخلي مفتوحا وقال لنفسه متشككا: لم يخدعني بصري رأيت شخصا دخل الفيلا ؟!

فلما دخل الفيلا ونظر الصالة التي تواجه الباب ، فلم ير الداخل ولا فارسا .. فاضطرب وهتف : ثريا ثريا

فجاءت مسرعة مضطربة خائفة وهي ما زالت بثياب النوم فقالت : حمدي .. حمدي .. هل من شيء ؟!

ـ أين فارس ؟

ـ ذهب لجامعته

ـ لقد رأيت رجلا يدخل الفيلا !

ـ لم يدخل أحد .

نظر إليها نظرة حادة وقال : ثريا لست أعمى .. كنت أركن السيارة عندما دخل ظننت فارسا في البيت

ـ لم يدخل أحد .. بصرك خدك

تقدم بجراءة نحو غرفة .. فخرج الرجل وقال : عفوا

فنظر لأخته مستنكرا وقال : من هذا يا ثريا ؟!

فصاحت برجاء : استر يا حمدي استر

ـ أتخدعين زوجك ؟! .. هذا آخر شيء توقعته منك

توسلت إليه قائلة : استر عليّ يا حمدي أغواني الشيطان

صاح بغضب : أي شيطان ؟! أنت الشيطان .. لقد عادى الرجل أهله من أجلك من أجل الزواج منك .. من هذا العشيق ؟

تسلل الرجل هاربا ، وصفع حمدي أخته وقال : ماذا سنقول لفارس ؟ لقد فضحتينا

أخذت تقبل يده وتبكي وتترجى أن يستر عليها وأنها ستتوب

فقال بحدة وغيظ : لا تريدين زوجك اطلبي الطلاق ..أما الزنا وخداع فهذا عمل مشين

فقالت من بين دموعها : لم نزن .. إنها نحن أصدقاء

قهقهة وهو في ذهوله وقال : أصدقاء ؟! صديق يأتي في هذا الصباح بعد خروج الزوج والبنات تقابلين الصديق بهذه الثياب العارية .. يا للعار! أختك يا حمدي خائنة ماذا سأفعل يا ملعونة ؟

فقالت : انس كأنك لم تر شيئا

ـ يا للوقاحة .. ثم ؟

ـ ثم لن ترى مني شيئا

ـ أهو أول عشيق ؟! لا أعتقد هذا .. ماذا ستقولين لبناتك يا ثريا هانم ؟ يا ثريا العفيفة ؟

ـ سامحني يا حمدي .. أنا أخطأت ..استر عليّ .. إن فارسا لم يعد يحبني إنني لم أعد أراه كثيرا .. هذا الذي سمح لي بالتمرد .. يخرج من الصباح ولا يعود إلا في وقت متأخر

ـ هذا لا يبرر الانحراف .. والإساءة ليست لفارس وحده .. العار يلحق أباك وأخاك وأهلك لو الأمر محصور فيك لهان الخطب .. هذا لا يبرر ما رأيت .. ألم تكوني تعايريني من الزواج من امرأة صديقي الميت يا ثريا .. يا للعار !! إني حائر .. ماذا أفعل ؟! أنا لا أرضى لنفسي الزنا فكيف أراه لأختي ؟!

قالت بتوسل : صدق أنني لن أسمح لأحد أن يدخل بيتي من جديد

ـ من جديد ..ألم أقل لك إن هذا ليس أول رجل تخونين زوجك معه ؟! .. أنا لا أحب العنف وأنت تعرفين ذلك .. هذا زوجك المغفل يجب أن يعرف ليقرر

فصاحت : هل جننت يا حمدي ؟ سيقتلني

ـ لن يقتلك .. فهو ليس من الرجال الذين يقتلون .. لقد ضربه جابر وبصق عليه ولم يحرك ساكنا ، فالرجل هادئ يا خائنة .. فارس رجل مسالم وأكاديمي .. ونحن علمنا أن ابن عمه مازنا أساء إليه وتحمل وسكت .. وليست المشكلة في فارس وحده ..المشكلة أمك وأبوك .. ماذا أقول لهم ؟ أأقول لهم ذهبت لشرب فنجان شاي عند ثريا هذا الصباح ووجدتها تستقبل عشقيها في بيت زوجها

ـ هذه حياتي ..أنت تضخم الموضوع .. صدق لم يحصل بيننا أي شيء حرام

ـ لا أدري كيف أصدق ؟!.. ولماذا خرج من غرفة نومك؟ .. جاء يتغزل بك وينصرف .. ثريا ذاكرتي تعود للوراء .. الخادمة التي اتهمتيها بالعشق والهوى منذ سنوات .. وإنك وجدت معها رجلا .. لم أنس دموع تلك الخادمة .. إنها تنظر إليّ الآن .. إني أتذكر بشكل جيد .. إنني أتذكر اتهامك إياها ..ألم أقل إن هذا ليس أول رجل في حياتك ؟.. أنت خائنة رغم أنك أختي .. وصدق يومها زوجك أن الخادمة هي الخائنة وليست أنت .. وأن الخادمة بعد خروجك تتصل بعشيقها .. صدقناك يومذاك .. اليوم أنت وحدك في البيت من ستتهمين ؟ ما الحل ؟

قالت : الحل دعني وشأني .. لما يعرف فارس يفعل بي ما يحلو له من العذاب .. أنت لست زوجي ولا أبي ولا أمي .. وصرخت : أنا حرة .. أنا حرة !!

خرج حمدي في غضب وحيرة من بيت ثريا ، وهو يفكر بماذا يفعل بجريرة ثريا ؟ هل يفضح نفسه وأسرته ؟ هل يصرح لفارس بما عرف ؟ كيف سيكون موقفي أمام فارس اللعين ؟ هل اصمت حتى يكتشف الزوج جريمة زوجته وخيانتها ؟ نحن لن نستطيع أن نكون مثل الغربيين وغيرهم بدون غيرة وشرف .

كتب رسالة صغيرة لفارس زوجتك تخونك

لما قرأها فارس تعجب منها فهتف قائلا : من كتبها من أقاربك يا فارس؟! مازن لا أعتقد ..

جابر .. لا أظن .. كيف تخونني ؟!



بعدما تلقى فارس تلك الرسالة القصيرة والتي فيها خبر خطير وهو أن زوجته تخونه ..أخذ يفكر بمن فعل ذلك وكتب له ؟ فكر بمازن وجابر .. وعادت به الذكريات عندما اشتغلت زوجته في المصرف وإلى ذلك الشاب الذي كان يرافقها ويوصلها للبيت .. وتذكر الخادمة .. والتهمة التي ألصقتها بها ثريا .. لأنها نبهته لدخول الرجل الغريب بيته دون علمه .. وبعد تفكير عميق طلب إجازة لمدة أسبوعين من إدارة الجامعة ..

لما علمت ثريا بهذه الإجازة تفاجأت للوهلة الأولى .. ولم تبد حماسا لبقائه في البيت ، فهو منذ تزوجها فمن النادر أن يأخذ إجازة داخلية لمدة أسبوعين .. وبعد أسبوع وضع أمامها الرسالة القصيرة زوجتك تخونك .. فلما قرأتها تلون وجهها فقال لها : من تظنين كتب لي هذه الرسالة يا ثريا ؟

لزمت الصمت ، وامتقع لون وجهها رعبا ، ثم لما رأته لم يتكلم قالت : لست أدري!! حسادنا كثر كما تعلم .

فقال بهدوء فهو له أسبوع يعد نفسه لهذه الحوار: ولكني مصدق ما في هذه الرسالة هذه المرة .

فصاحت فجأة : أتخونني يا فارس ؟!

ـ لم أنس تلك الخادمة .. لم أنس ذاك الزميل موظف البنك

ـ قلت لك لم يكن بيننا شيء يا فارس .. مجرد زميل يحب توصيلي للبيت ، وأنت تعلم زحمة السيارات .. وهو موظف في البنك

ـ لا تظني أنني صدقتك تلك الأيام .. كنت أخشى الفضيحة .. بعد أن قاتلت بقوة من أجل زواجنا .. من أجل أن تكوني زوجتي يا ثريا .. كانت العائلة ترفض الاقتران بك .. ضغطوا بقوة .. ومع ذلك صممت على الزواج منك رغم تهديدهم أن مازنا سيطلق خديجة إن لم أتزوج

شقيقته .. فاضطررت أن أصدق أنّ الخادمة تكذب وتفتري عليك .. وأن الرجل الذي كان في البيت صديق للخادمة وعشيقها .

فأخذت تقسم وتحلف أنها لم تخنه ، ولما كفت عن الحلف قال : ولكنك تحبينه .. ذهب حبي لك في الهواء .. ذهبت حرارة ودفء الحب الذي كان في ساحات الجامعة مع ولادة سلوى .. أنا مصدق لهذه الرسالة ؛ لأنه لا يكتبها إلا صديق ناصح .. ليس جابر ولا مازن .. فهم لا يعلمون بقصة الخادمة .. وذاك الموظف ماذا كان يعمل في البنك ؟ حسنا سأذهب لمقابلته ، أريد أن ارتاح يا ثريا أم أطلقك ويذهب كل في حال سبيله بدون فضائح .. حياتي وعملي في الجامعة لا تحتمل الفضائح الأخلاقية .. ومن أجل بناتنا عليك الانفصال بهدوء وبغير شوشرة

وعدته بأنها ستحبس نفسها في البيت لن تخرج إلا معه، ولو حتى مات أبوها ، وأن يحضر خادمة لتكون سجانة لها قال : لا ، لا أريد المزيد من الشهود .. علينا أن نفترق بهدوء وبدون شوشرة أنا لا أقبل أن يكون لي شريك في الفراش .. وأنا لا أستطيع ترك عملي لمراقبة تحركاتك وتلفوناتك .. فهذه الرسالة لم تأت من فراغ .. لا تنفع الدموع اليوم .. البنات فكرت بأمرهن ستذهبين لأهلك بدونهنّ ..سأطلب لهن مربية خاصة وأجنبية .. وسأنقل سلوى لمدرسة داخلية

صاحت هائجة : أنت مجرم !

ـ لست مجرما .. أنا أعطيتك كل هذه السنوات كفرصة لتصلحي اعوجاجك وحالك ولكن السماح لم ينفع معك .. ما زلت تغدرين بي ، ولولا أن الرجل الناصح رأى شيئا جديدا ما كتب لي هذه الرسالة.. وإذا رجل البنك محب لك فبمجرد طلاقنا سيتقدم لك حتى لو كان متزوجا كما زعمت أيام تلك الخادمة

بكت بين يديه فقالت : كيف تثق بهذه القصاصة ؟

فقال: وكيف أثق بك أنا بعد هذه القصاصة زوجتك تخونك ؟ أتخشين أن لا يقترن بك بعد زواجنا ..؟

بعد صمت يسير قال الدكتور فارس : ولكن أحب أن أخبرك قبل ذهابنا للمحكمة .. أنني

متزوج عليك يا ثريا متزوج منذ ثلاث سنوات يا ثريا

فقالت مغتصبة ضحكة : لست غبية يا سيد فارس .. فأنا أعرف ذلك لا تظن أنني مغفلة كما تزعم ..فالمرأة تعرف الرجل عندما يعود من عند امرأة غيرها ؛ ولكني سكت ظننتها نزوة عابرة كما نسمع .

فقال : تزوجت لما أصررت على خيانتي .. لم أكن جاهلا سوء أعمالك .. صبرت على أمل أن تعقلي وتتركي ذلك الموظف .. صبرت من أجل حبنا المزعوم فكان حبنا وهما ..فمبارك عليك عشيقك يا مدام .. اسمه حسون .. مبارك عليك حسون .. لما جاءت الرسالة قلت انكشف الأمر .. سوف يشيع الأمر وأنا في غنى عنك وعن خيانتك .. ما أدري ما الذي أعجبك فيه ؟!

لزمت الصمت .



وتم الطلاق قبل انقضاء إجازة فارس، ولما قابلت حمديا شقيقها قالت : ارتاح ضميرك . فنظر إليها باحتقار وقال : ماذا تقصدين ؟!

ـ الرسالة التي كتبتها لفارس .

ـ لم أكتب شيئا لفارس .. وإياك أن تدخلي بيتي يا ثريا .. أنا أكره شيء عندي الخيانة الزوجية فليأت عشيقك ويتزوجك .

ـ أنت مجرم أيضا ..

ـ مجرم .. مجرم ، عندما تصبحين امرأة صالحة .. ستعود الأخوة بيننا

ـ لست بحاجة إلى هذه الأخوة .

ـ لو كنت تحترمين الأخوة ما فعلت فعلتك .

وغادر منزل أبيه غاضبا .

الفضول

لما انتشر خبر طلاق فارس لثريا نزل هذا الخبر على مازن وجابر خبرا صاعقا ومثيرا ، والكل يسعى لمعرفة سبب هذا الطلاق لمعرفة السبب الحقيقي لذلك ، فحب الرجل لفتاته كان مدويا في العائلة والجيران ، فقد رفض الرجل ضغط والديه وأعمامه للزواج من حبيبة من أجل الزواج من ثريا ، فكان مازن يقول لجابر بفضول شديد : ألم تعرف شيئا من أمر هذا الطلاق المفاجئ ؟

ـ لقد حاولت بكل قوة ، ولم أعرف شيئا إلا إذا كانت لعنة أصابت أبناء الحاجة فاطمة ..

ـ ويلك ! أنا لم أطلق خديجة إذا كنت تلمح عليّ .. أختك أنت تعلم أنها لم تعد صالحة للمعاشرة الزوجية ..

تعذر جابر فقال : لم أقصد شيئا ..والأعجب تبين أن الرجل كان متزوجا سرا منذ سنوات .. أرأيت يا ابن العم ؟ اللعين متزوج من سنوات.. من قبل وفاة أمنا التي لو كانت تعرف ذلك لماتت سعيدة من بغضها لزوجة فارس .. ليس لها نصيب بالطيبات

ـ هذا الزواج الخفي لماذا كان؟.. فثريا فتاة جميلة وفاتنة .. وتلبس دائما آخر صرعات الموضة .. وحبيبته وزميلته في الجامعة وأم بناته

ـ هذا ما صدمني حقيقة .. لقد قاتل الدنيا بشراسة لينكحها رغما عن اعتراضنا الشديد على شخصها .. لقد دافع عن زواجه منها بكل قوة ، ولم يأبه لأب وعم وخال وأم .. تلك أيام لا تنسى

سأل مازن : هل لمعرفتها بزواجه عليها دخل لطلب الطلاق ؟

ـ هذا الظاهر وهذا ما يشاع .. أمعقول أنها طيلة هذه السنوات الثلاث لا تعرف أنه متزوج عليها يا سيد مازن ؟ .. يقال إن للمرأة حاسة سادسة في مثل هكذا أمور

ـ ربما عرفت وصمتت لبعض الوقت ، ثم لم تعد تطيق الوضع ، وطلبت منه إنهاء الزواج منها فرفض ، فطلبت الطلاق فوافق ما دام قد انتقل حبه لامرأة أخرى .

عاد جابر يقول بعد فترة صمت : لن يهدأ لي بال يا أبا عصام حتى أعلم أسرار هذا الطلاق .. وأنت ما أخبارك مع الزوجة الجديدة ؟ هل عادت بعد حردها الأخير؟

ـ إنها ملعونة .. النساء ماكرات ..آه لو تعلم كيف كانت تقابلني قبل الزواج منها؟! .. كنت أظن نفسي في الجنة وهي عند أهلها ؛ لكن بعد الزواج صارت نمرة .. هذه المرأة ما أن أمد يدي عليها حتى تلم ملابسها وترحل .. لقد ذلتني يا رجل .. لن أجد مثل أختك كانت تتحمل إهانتي وضربي لها دون تبرم .. لقد هممت بطلاقها أكثر من مرة .. لو أن أختك تشفى لطلقتها وخلصت من حردها .. وأنا هذه الأيام أفكر بالزواج مرة ثالثة لعلها تكون مثل أم عصام .

ـ النساء بلاء .. فأنا تزوجت مطلقة كما تعلم وامرأة فقيرة لتسلك معي ؛ ولكنها بعدما ولدت لي الولد الجديد تكاد تطلعني من ثيابي يا رجل .. بدأت تتمرد .. لولا شماتة هناء لطلقتها

فقال مازن : فعلا نساء ماكرات .. عليك يا جابر أن تعرف أسرار زواج فارس السري وأسباب طلاقه لتلك الحسناء .. إنني بشوق شديد لمعرفة ذلك فقد حاربنا بشدة من أجلها .

ـ سأسعى إلى ذلك الكشف .. وسيأتيك بالإخبار بمن لا تزود

ضحك مازن وقال : يا سلام دخلنا على الشعر !

***

اضطر فارس بعد انفصاله عن ثريا أن يظهر زواجه الثاني للعلن ؛ لإخفاء دوافعه الحقيقية لطلاقه لها ، فاعتقد الناس أنها اكتشفت أنه تزوج عليها فطلبت الطلاق ، وزواجه لم يكن سريا بمعنى الكلمة الحرفي لا يعرفه أحد ، كان الزواج معروفا لأهل الفتاة ، فهو كان مخفيا عن عائلته الكبيرة وأسرة ثريا أيضا ، وعن الفضوليين في الجامعة. والزوجة الثانية كانت إحدى طالبته ، ووافقت على الزواج منه وإخفاء الأمر عن الزوجة الأولى والمقربين ، وكان يعدها وأهلها بالصبر حتى يشهره للعلن ، وبعد هذه السنين جاء الوقت ، وعلم القاصي والداني أن الرجل كان متزوجا على زوجته الحسناء ثريا . والزوجة الجديدة قد اعتقدت أن الرجل طلق زوجته أم بناته من أجلها ، وأن ثريا رفضت أن تعيش زوجة أولى ، فوقع ذلك الطلاق ، وأبقى الدكتور هذا الإيحاء لدى أهلها وغيرها .

زهرة ـ وهذا اسم الزوجة الثانية ـ لم تكن طبعا تتوقع طلاق ثريا؛ كانت تظن أن الدكتور يمهد لإخبارها بزواجه الثاني ، فلزمت الصمت والسكون ، فهي أم بناته سلوى وحسناء .

لما أشهر هذا النكاح رحل فارس بزوجه إلى مدينة نصر، وانتقل للعمل في جامعتها ، وهي أيضا جامعة خاضعة للدولة ، وقد استقر في المدينة .

وكان الرجل قد ادخل ابنته سلوى في مدرسة داخلية في جوهر المدينة ، وأما حسناء فأخذها للعيش معه في نصر ، واستعان بخادمة للبيت ، فزهرة فتاة عاملة كانت تعمل بعد تخرجها في جامعة زوجها ، ولما انتقل نقلها معه أيضا . وبعد استقراره في مدينة نصر واجهته مشكلة جديدة كانت مؤجلة لحين ، كان الرجل قد طلب من الفتاة ألا تفكر بالحمل والولادة لريثما تتضح المواقف مع الزوجة ثريا ، ولما صار الطلاق ، وصار الرحيل ، استأذنته في الحمل ، وتوقفت عن أخذ موانع الحمل ، واستسلم الرجل لرغبتها من أجل ولادة مولود واحد ، ومضت الشهور ولم يحدث الحمل ، ترددت زهرة على عيادات العلاج النسائي والعقم ، فاخبروها أنها صالحة للحمل وليست لديها مشاكل جنسية وإخصاب .

ولما أخبرت الطبيب أن زوجها له بنات ، فطلب منها أن يعرض الرجل نفسه على العلاج والفحص الطبي . وبعد جدل عقيم استسلم لرغبتها ثانية ، وأجرى فحصا لجودة حيواناته المنوية ، وبعد عدة فحوص تبين للطبيب المعالج أن عنده ضعفا شديدا في حيواناته المنوية ، وبحاجة لمعالجات قد تستغرق بعض الوقت .

وبدأ فارس على مضض رحلة علاج من أجل بقاء زواجه الثاني عامرا ومستمرا ، وقد بلغت البنية الستة والعشرين سنة وهي بدون ولادة ، وكانت كل عودة من عند العيادة تقول له : أنت السبب .. قلت لك دعنا ننجب من أول زواجنا ، فكنت تقول اصبري أنا لا أحب المواليد الكثر فيحدث بينهم الشجار والصياح والعتاب ، وينام كل واحد منها في حجرة لعدة أيام أو حتى يقترب موعد مراجعة الطبيب المعالج ، وبعد حين من الزمن قال فارس بغضب خفيف : إذا كنت مصرة على الأولاد .. علينا أن ننفصل .. لأنني مللت من زيارة هؤلاء الأطباء والمختبرات الذين لا يفقهون شيئا .

فصاحت غضبا : اشتقت لثريا .. لابد أن هذه الهواتف منها .. اشتقت لحبك الأول .

فقال ساخطا : لم أحن لها .. ولن أرجع لثريا يا زهرة ..ولم تكوني أنت السبب لطلاقي لها .. فقد

كانت تعلم بزواجنا منذ أول سنة .. من روائح العطور التي كانت تعلق بثيابي بعد مغادرتك .. فهي أنثى ولها حاسة شم قوية

ـ لا أصدق ما تقول .. اتصلت بها ، وسألتها عن سبب الطلاق .. فقالت لي أنت السبب يا زهرة .. أنت التي خطفت حبيبي مني .. لن أسامحك يا زهرة

صرخ في وجهها : كذابة

ـ أنت الكذاب يا فارس .. إنني فعلا أفكر بالانفصال عنك .. رفضت أن أحمل .. رفضت أن يكون لديّ أطفال كباقي نساء العالم .. رضيت بالحبس والتنقل بين شقتي وبيت أمي .. وأتحمل الكلام القاسي من أجلك .. أما حياة بدون ذرية ما الفائدة منها ؟!

ـ تركت بناتي من أجلك .. سلوى في مدرسة داخلية .. وحسناء مع المربية في العاصمة يا زهرة وإذا جاءوا هنا الخادمة تقوم على خدمتهم لست أنت .

ـ صحيح ما تفوهت به ولا أنكره .. ورغم صغرهن فهنّ يكرهنني كرها ألمسه من أعينهن وحركاتهنّ .. وسلوى لما تأت إلى هنا تجعل البيت نكدا وشرا وحقدا

ـ أنت السبب ! لماذا لا تشعريهنّ بأنك تحبينهنّ وإنك أم لهنّ ؟! .. لم تعترضي على تعاقدي مع مربية لم تعترضي على وضعي سلوى في مدرسة داخلية .. فكيف سيتعاطفن معك ويظهرن مشاعر الود نحوك ؟! .. وأنا قبلت بهذا الوضع خشية المشاكل المعروفة بين الأبناء وزوجات الأب .. أتحبين أن تعرفي لماذا طلقت ثريا يا زهرة ؟

صاحت : أجل ؟

ـ جيد ! .. إنها امرأة خائنة !!

تفاجأت زهرة بالخبر وقالت : خائنة ؟!

ـ لقد خانتني قبل الزواج منك .. لقد عشقت رجلا غيري .. مات حبنا

العشيق

التقت ثريا بالرجل الذي كان السبب في إفساد حياتها الزوجية ، الرجل الذي صاحبته أثناء عملها في البنك ، كانا يجلسان في حديقة عامة وواسعة ، فقالت له بنبرة فيها غضب وتهديد : حسون لي أشهر في انتظار خطبتي ..وأنا شبعت من تعذرك وتصبرك .

اخرج السيجارة من فمه وقال : أنت تعلمين كم أحبك ؟! لي سنوات غارق في هواك .. ولكن لا أدري كيف سأتخلص من امرأتي هذه الأيام ؟ فهي حامل كما أخبرتك .

ـ أنت قلت لي في المرة الماضية إنك ستدفعها لإسقاط الحمل .. واليوم أسمع كلاما آخر .. يبدو أنك نسيت الكثير من كلامك منذ التقينا قبل سنوات في البنك .. لقد نسيت فارسا من حسن كلامك وهواك فيّ .. خلي فارسا يطلقك اليوم وغدا سأتزوجك أو اطلب يدك .. أنسيت هذا الكلام وغيره ؟.. لي أشهر انتظر قدومك .. الكل حائر لماذا طلقني فارس الولهان في حبي وغرامي ؟ .. لماذا تخلى عن هذا الحب ؟ .. رفض ابنة عمه لأكون زوجته .

ـ ألم أقل لك اطلبي الطلاق قبل أن أتزوج ؟ ولكنك رفضت ورضيت بالعيش معي كصديقة وعشيقة .. فاضطررت للزواج كما تعلمين يا حبيبتي وطلبت مني الزواج فتزوجت .

ـ كنت أظن أن فارسا لن يكتشف الأمر ، ولن يعرف القصة خاصة بعد أن طردنا الخادمة التي فضحتني أمام زوجي الغارق في جامعته ومحاضراته .. وأنت تعلم أن فارسا صدق الأيمان التي حلفتها له .. ولولا مجيء حمدي المفاجئ لما كشف السر .. عليك بتطليق زوجتك بأسرع وقت ممكن .. لم أعد أطيق البقاء في البيت كالمنبوذة .. كما ضحيت بشرفي من أجلك عليك أن تقابل ذلك بالتضحية بزوجتك .. لا أحد يعلم السبب الحقيقي لطلاقي .. عليك بالحركة يا حسون.

بعد صمت قد طال قال : والمولود القادم ماذا أفعل به ؟! إنها ترفض إسقاط الحمل فهي تقول : أنا ما صدقت وحملت به

صاحت غضبا: طلقها بهذا العذر .

ردد قائلا : أطلقها بهذا العذر .. إنه ابني يا ثريا

ـ أنا تركت بناتي من أجلك يا حسون .. فارس لا يمكن أن يعيدني بعدما استقرت الحقيقة في

قلبه .. قبل حدوث الطلاق كانت مجرد شكوك .

ـ لابد من زواجنا إذن . قالت بحدة: لابد .

قال بنوع من التوسل : ألا تتحملين حتى تلد ؟

ـ مللت الانتظار

ـ شهر واحد فقط

تنهدت أسفا وقالت : شهر واحد من أجل حبنا .. اقتربت السنة أن تنتهي منذ فارقت الرجل

ـ شهر واحد .. أنا لا استغني عن حبك .. علينا أن لا نلتقي حتى أنهي علاقتي بزوجتي .

ـ لن نلتقي بالعين المجردة حتى يذهب الشهر ..

بعد هذا اللقاء الذي تركت فيه الفرصة لحسون لترتيب أموره للخلاص من زوجته ، فقد اتصلت بعد أسبوع فطمأنها قائلا : الأمور تسير على خير ما يرام .. المشاجرات والمنازعات اشتدت بيننا .

وبعد أسبوع آخر لم يرد عليها البيت مما اضطرها للاتصال بالبنك ، فقيل لها إنه غير موجود . وبعد حين اضطرت لزيارة البنك للقاء به ، فجاء الخبر الصاعق إنه ترك العمل .. وربما سافر

صاحت غير مصدقة: سافر!!

ـ سمعنا بذلك وأنهى خدماته عندنا

قضت أياما وهي تتصل بالرقم الذي بينها وبينه ، لا أحد يجيب .. هي لا تعرف بيته ولا حيه ولا زوجته .. تعرفا من خلال البنك ، وكان يصحبها بسيارته ويوصلها لبيتها .. ثم كانت تدعوه لشرب الشاي أو القهوة مع كل توصيلة ..حتى تطور الأمر للحب والعشق والزنا .. وأحيانا يصحبها لغداء في أحد المطاعم .

فبعد فشلها في اللقاء به والعثور عليه استوعبت غدره بها ، وأن دوره انتهى معها .. وأنها دمرت حياتها من أجل سماعها لكلام غزل ناعم .. ذكرها بأيام الحب بين ساحات وأشجار الجامعة .

الصلح

حميدة محسن تعلمت في كلية التمريض وهي تعمل في مشفى حكومي في مدينة جوهر بمؤهلها العلمي ، وهي صغرى ولادات فاطمة وزوجها محسن ، والعمل في المستشفيات يكون مجموعات مجموعات كل مجموعة لها جزء من اليوم والليلة ، ويتادور العاملون على ثلاث فترات عادة تسمى ورديات ، فشهر نهاري وشهر ليلي وشهر بين بين ، والفتاة هذه عندما بدأ سرد أحداث هذه القصة كانت متزوجة من أحد شباب الحي والجيران ، ولها عدد من المواليد ، وهي ما زالت تسكن في نفس حي والدها السيد محسن منذ ولدت وتزوجت ، وكانت حميدة هي البنت الوحيدة التي تعلمت في الجامعة من أسرة محسن ، لأنها أصغر البنات ، وقد تشجع الناس في إرسال بناتهم للجامعات .

كانت تسمع أخبار العائلة كما يسمع غيرها ، طلاق زواج ، كانت تتأثر بما تسمع ؛ ولكنها تلتزم الصمت ، ولا تعلق بشيء ، ولا تحشر نفسها مع أي طرف ، ولم تحاول ذلك .

وبينما هي في العمل ذات ليلة اتصل بها المكتب أن شقيقها يريد أن يراها ، فتركت طابق العمل إلى حيث مكتب إدارة التمريض في المستشفى لتجد فارسا في انتظارها، قد تفاجأت بطلبه ، ولما رأته أدركت أن الأمر لا يتعلق بعلاج ، فهو يتعالج في مستشفى الجامعة التي يعمل فيها لوجود مشفى كبير بين صروحها .

رحبت به وهي في غاية القلق والاستغراب فقال بعد الترحيب : مفاجأة أكيد !!

نظرت إليه قائلة : نعم .. مفاجأة خاصة من فارس !

مشيا نحو المقاعد في تلك القاعة وقال : أنا بخير يا حميدة .. لست مريضا بدنيا .. وإن كنت مريضا نفسيا .. الحياة صعبة .. أريد أن أسألك عن الوالد وأخباره وصحته .. أنا أعلم أنني مقصر في حقه وحقكم جميعا .. إنما الحياة التي أعيشها معقدة يا حميدة .. ومشاكلي لا تنتهي .. فمنذ طلاقي لثريا وأنا أعيش في جحيم .. ما أخبار الوالد ؟

ـ أراه كل يوم بفضل الله ، وهو بكل خير ، وصحته ممتازة .. ماذا تريد منه ؟!

ـ أريد أن أراه .. أراه بعيدا عن الحي وبدون علم أحد .

ـ ولماذا ؟!

ـ إنني بحاجة لدعوة منه .. بحاجة لرضى منه .

قالت : من هذه الناحية هو راض عنك رغم الجفاء منك .

ـ أريد أن أقبل يديه يا حميدة .. رتبي لقاء به

ـ أين ؟

ـ في بيت خالتي أم حسن ..

ـ بيتها بعيد عن بيت أبيك

ـ لا بعيد على السيارة .. فلنبق على اتصال .. وتحدثي مع خالتي أم حسن ومع أبي وردي لي الجواب .

ـ سأفعل يا فارس .. أبي مشتاق لرؤيتك وسماع صوتك يا فارس .

ـ اعرف ذلك .. حياة تعيسة يا حميدة .. لا تظني أنني سعيد بحياتي ..



كلية الطب

نحن اليوم في خريف سنة ١٩٩٥ ، وقد بدأ العام الجامعي الجديد ، وقد دخلت سلوى فارس مكتب والدها وبعد أن سلمت عليه قالت : معي صديق يجب أن تتعرف عليه .

ـ صديقك من ؟!

ـ أحد الزملاء يسبقني بسنة.. طبيب صاعد .

ـ رائع فليتفضل !

فتحت سلوى الباب ، ونادت على زميلها سامر : تعال يا سامر أبي هنا .

دخل سامر المكتب باسما ومرتبكا إلى حد ما وصافح الدكتور وهو يقول : سامر خالد يا سيدي طالب كلية الطب .

ـ أهلا وسهلا .. فارس محسن والد سلوى ودكتور لغة فرنساوية عميد كلية الآداب .. أتدرس مع سلوى في كلية الطب ؟

ـ أجل يا سيدي واسبقها بعام واحد فقط .. وكما تعلم يا سيدي أن هناك محاضرات مشتركة .. فتتيح لنا الالتقاء بزملاء جدد .

قالت سلوى : نعم يا أبي قد تعرفنا في أواخر الفصل الماضي .. والدكتور سامر شاب لطيف وصديق عزيز على قلبي .

تبسم فارس وقال: على قلبك .. أفهم أن هناك أكثر من الصداقة .

تبسمت وقالت : يعني ..

فقال سامر بشجاعة : سلوى عفوا الآنسة سلوى فتاة جريئة يا دكتور فارس .. نحن أصدقاء فحسب لم تتطور الأمور إلى أكثر من ذلك .. وهي رغبت وألحت أن تعرفني عليك ؛ لأنك ـ كما تقول هي ـ أب مثالي ولا تعارض أي صداقة وعلاقة بين الجنسين .

تبسم فارس وقال : حسب الأصول يا ابني نحن شرقيون ..إنما أعني العلاقات البريئة والزمالات الصحيحة.. الحرية جيدة ؛ ولكن لا تتطور إلى علاقات جنسية باسم الحرية .

هتف سامر فقال : نحن أبناء أصول يا سيدي العميد .. أنا والدي طبيب ، وكذلك أمي ، وأنا

طبيب في المستقبل .. ونحترم الأخلاق .. والآنسة سلوى صديقة عزيزة عليّ .. وإنني اقدرها يا سيدي الدكتور

فقالت سلوى ضاحكة : رائع .. رائع يا دكتور سامر !! لقد خشيت أن يغمى عليك وأنت تتعرف على أبي الغالي .

تبسم الرجلان وعاد الدكتور للترحيب بسامر قائلا : أهلا وسهلا .. أتشربون شيئا يا سلوى بمناسبة هذا التعارف ؟

ـ لا ، لم يبق وقت يا أبي لشرب شيء ؛ لكني أحببت أن أجمعك بصديقي سامر الذي كان يتهرب من اللقاء بك ..وكان مستصعبا لهذا اللقاء .. رغم كلامي الكثير عنك ليقتنع أنك لن تغضب من تعارفنا ولقاءاتنا ، وقلت له إن أبي على خلاف كثير من الناس .. المهم الاحترام المتبادل بين الأصدقاء.

فقال فارس : حسنا يا سلوى .. احرصي على نفسك ولا تسيء للثقة التي أوليتك إياها .. أهلا بالدكتور سامر ..أنا سعيد بالتعرف عليك وبصداقتك لسلوى العزيزة .. والبيت مفتوح لك ومد يده مصافحا له ، وقبلت سلوى يد والدها وقبلته على خده وهي تهمس : شكرا أبي !

ولما أغلق الدكتور باب المكتب وراءهم قالت سلوى بفرح : أرأيت والدي العزيز ؟!.. أبي ليس معقدا .. ولا يعني هذا أنه متحرر للغاية .

ـ شكرا آنسة سلوى على إتاحة الفرصة للتعرف على والدك أستاذ الفرنساوية

أمسكت يده وقالت : قلنا كلمة آنسة مشطوبة .. نحن أصدقاء وفي أول طريق الهوى والحب

توقف ونظر في عينيها : أتحبينني يا سلوى ؟

ـ جدا جدا .. كأنك أول رجل أراه في حياتي التي مضت .. أضع رسمك في غرفتي الخاصة .. واليوم سأضعها علنا ..

ـ أيقبلني أبوك زوجا لك يا سلوى؟ .. الصداقة غير الزواج

قالت محتجة : من سيتزوج هو أم أنا ؟

ـ أنت طبعا .. أمك .. عفوا أخبرتيني أنها طلقت منذ سنوات .. هل أخبرتيها بحبك لي ؟

تضايقت وضغطت على يده وقالت : اخبرها ولماذا اخبرها ؟! فهي بعيدة عنا

ـ الأمور بينك وبينها يبدو ليست ولابد .. لماذا انفصلت عن أبيك ؟.. أذكر أنك أخبرتيني أنه تزوج سرا عليها، ولما عرفت بذلك الزواج طلبت الطلاق ، لم تقبل فكرة التعدد .. ثم طلق والدك الزوجة الثانية لعدم قدرته على الإنجاب .. سيء الحظ يبدو والدك

ـ فعلا يا سامر!! .. ولكنه طيب ويحبني أنا وحسناء حبا عظيما بعكس أمنا .. وفكر قبل سنوات بإعادة الكرة ولم يوفق .. فله أكثر من خمس سنوات أعزب حتى ربما أكثر من ذلك .. التقى بامرأة شابة وتصاحبا لفترة .. ولكنها رفضت الزواج منه كما علمنا منه ، ثم تباعدا لم يتم الزواج ولدينا شغالة تهتم بنا في البيت ، ولما ارجع من الجامعة تغادر إلى بيتها وعائلتها .. وفي البيت أيضا خادمة آسيوية دائمة من جنوب شرق آسيا .

ـ أنت درست في مدرسة داخلية ؟

ـ نعم ، طلق أبي أمي ، وأدخلني مدرسة داخلية ، وأحضر لأختي مربية أجنبية ؛ كأنها فرنسية فأبي مغرم بالفرنسيين وحياتهم وتقليدهم وطعامهم ..

ـ أتزورين أمك ؟

قالت بتأن :لا يمنعنا أبي من ذلك ، نذهب في المناسبات والأعياد بالضبط لماذا طلق أبي أمي ؟ لا أحد يعرف .. ورفض أبي بقاءنا عندها عند حصول الافتراق حتى حسناء الطفلة.. وزوجته التي كان متزوجها لم تقبل حياتنا معها .. ولكنهم بعد إعلان الزواج رحلوا لمدينة نصر .. وبعد حين اتفقا على الطلاق بسبب عدم قدرة أبي على الإنجاب بعد محاولات علاج أخذت سنة أو أكثر ..

فقال سامر : وكيف يكون لقاؤكم بأمكم ؟

قالت بضيق : أمي لا تحبنا كثيرا ولا قليلا يا سامر .. يكون اللقاء ساعة أو نصف ساعة وربما أقل من ذلك .. لا أشعر بشوقها لرؤيتنا .. أمي معقدة .. وهي متزوجة من رجل كبير في السن من جيل والدها ، وهو رجل له أبناء شباب وهو أيضا عليل وسقيم .. تزعم أمي أنه يضيق بوجودنا ؛ ولكني لم ألحظ ذلك منه .. فنمكث بعض الوقت ونغادرها غير آسفين على اللقاء يا

سامر .. هناك سر عميق بين أمي وأبي حتى تتضايق من لقائنا وزيارتنا .. أو زوجها الهرم حقا لا يرغب برؤيتنا معها .. وهي لم تنجب منه ، وهي كثيرة لشرب المسكر والدخان

كأن سامرا تفاجأ بذلك : أمك تسكر؟

ـ نعم ، أنا لا أحبها كثيرا يا سامر .. لا أدري لماذا ؟! ولكنها أمي

ـ أنا سعيد بصحبتك يا سلوى .. بس لا تفكري أنني زوج الغد الواعد

ـ لن اسمح لك بالزواج من غيري ..

قال مازحا : قد ألتقي قبل مغادرة الجامعة بفتاة أحلى وأجمل منك ..

ـ أنا أجمل فتاة في الكلية صدق ذلك وربما في الجامعة

تابع ضحكه وقال : عندما أتحدث معك يا سلوى أظن أنك فتاة أوروبية ولست عربية .

فتضاحكت وقالت : ربما ؛ لأنني تعلمت في مدرسة داخلية نظامها أوروبي يا سامر .. ولكنك أنت الحبيب الأول وستبقى الحبيب الأول ـ إن شاء الله ـ .. أتحبني يا سامر ؟!

ـ أنا لا أدري !



جلس فارس في بيته الذي استأجره بعد عودته للحياة في جوهر المدينة الكبيرة ، ووضعت أمامه الخادمة الأجنبية إبريق الشاي وبعض قطع البسكويت الأجنبي ، وطلب منها إرسال سلوى إليه ، فعادت تقول : إنها تتحدث بالتلفون .

فرفع صوته مناديا : سلوى الشاي يبرد .

فردت سلوى : يا أبي إنني أتحدث مع سامر .. سأعتذر منه بعد قليل .. سأشرب الشاي باردا ـ كما تشائين .. أخذ يشرب الشاي ويقرأ في كتاب بين يديه ، حتى أتته سلوى التي سكبت لنفسها كوبا من الشاي وأخذت ترشف الشاي منتظرة كلامه معها ، ولما لزم الصمت ، قالت محتجة : نعم يا أبي .. الآن سيغضب مني سامر .. سامر لا يحب أن أقطع عليه المكالمة ،

يحب أن ينهي هو المكالمة يا أبي الفاضل .

اعتذر الأب لابنته وقال : هذه المرة سماح ..إني أريد أن أسألك عن سامر هذا .. أتثقين بأخلاقه أم هو شاب عابث .. ؟

صاحت بدهشة مستهجنة : عابث! .. كلمة خطيرة يا أبي .. لو سمعها سامر لهجرني وبحث عن فتاة أخرى .. قلة بنات في الجامعة يا دكتور فارس ..

ـ لم تفهمي قصدي

قالت : فهمت قصدك يا دكتور .. سامر يا أبي شاب يصلي .

ـ يصلي .. يصلي ؟!

قالت مؤكدة ما تقصده : ويتردد على مسجد الجامعة ،ويستمع للمحاضرات والندوات الدينية

قال وما زالت الغربة تعتريه : سامر الذي عرفتينني عليه قبل أيام ؟!

ـ أجل ، هو يحب التدين، وإن لم يظهر عليه ذلك .. وهو لا يجلس في الجامعة مع أي فتاة سواي أنا وحدي

ـ سامر خالد ؟!

ـ نعم ، سامر خالد يا أبي ..حتى أنه يحثني على الصلاة والصيام .. فأقول له أنا لا أعرف ذلك في البيت .. نحن لا دين لنا ..لا أذكر أننا تسحرنا ليلة من الليالي .. أو أنني رأيت سجادة صلاة في البيت ..

قال : عجيب ما أسمع يا سلوى .. سامر يصلي ويصوم !

قالت مضيفة : بل أكثر أصدقائه من شباب التيار الإسلامي ؛ ولكنه أحبني .. أو قل أنا أحببته هو لم يصرح بذلك .. ولكن أفعاله وتعلقه بي تدل على حبه لي يا أبي .. وهو جيد في الدراسة ومحبوب من الأطباء

سكت فارس قليلا وقال : ولماذا لا تصلين ؟!

ـ هو يقول الذي يصلي عليه بلبس ملابس حشمة .. فهذه الثياب التي ألبسها سيئة وقبيحة في نظره ..

ـ هو الذي يقول لك ذلك .. عجيب هذا الشاب ! أصادق في عواطفه نحوك ؟!

قال معترضة : وإلا لماذا يصاحبني؟! .. عابث ساخر .. أتظن أنه ممثل طامع بجسدي ؟ .. فكثيرات هنّ اللواتي يهبن أجسادهن للرجل بزعم الهوى والحرية .. لم يطلب مني قبلة واحدة سامر هذا .. يمسك بيدي أحيانا ليعبر لي عما في قلبه نحوي .. ونتصافح كلما نلتقي .

ـ ويصلي الدكتور سامر ؟!

ـ نعم ، هو يعتبرني مخطوبة له .. ويفكر جديا بطلب يدي منك

ـ أتقبلين به يا سلوى زوجا لك في المستقبل ؟

قالت بولهه الولهان : أنا يا أبي لا خيار لي نحوه .. الخيار له .. إنني أقول هذا بصدق لقد أحببته منذ التقينا .

ـ والصلاة والثياب ؟!

ـ هو لو أمرني بذلك بقوة لفعلت ونفذت يا أبي !

ـ أنا حقيقة معجب بصراحتك يا سلوى .. وأنت فعلا ابنة المدرسة التي تعلمت فيها .. ولكن احذري الغدر .. احذري من الذئاب

ـ سامر ليس ذئبا.. إنني أثق به.. وسيحبني ويخطبني .



فمن طبيعة وتقاليد الدراسة في الجامعات وجود فواصل بين المحاضرات بالنسبة للطلبة والمحاضرين ، فكان يقضي الطلاب هذه الأوقات بين المكتبات والنوادي العلمية والثقافية إذا كانت متوفرة في بعض الجامعات إن لم يكن كلها ، والبعض وربما الأكثر يقضي وقته بالثرثرة مع الطلاب الذكور والإناث ، ويذهب بعض الوقت في المطاعم وأمام آلات بيع الشراب ، والجامعات تتوفر فيها الحدائق والمتنزهات والأشجار .

فكلما التقت سلوى فارس بزميلها سامر في أحد أوقات الفراغ بين المحاضرة والأخرى تشتري

له علبة عصير مثلجة فيتناولها الشاب شاكرا ، ثم يجري التعليق على شيء ما ، فذات نهار بعد أن أخذ منها علبة العصير قال : كأن ثوبك جديد .. هذه أول مرة أراه عليك .

تبسمت وقالت مسرورة : بدأت تهتم بما ألبس ..

ضحك على غمزها وقال : دائما أرى ما تلبسين .. ولكنني لا أفهم كثيرا في الموضة والموديلات أنا أمي جاهل في ذلك صدقي يا سلوى

قالت : اعتراف جميل!! لقد كان أبي يسألني عنك منذ أيام قليلة ..

ـ جميل أيضا!!.. أن يسأل عني الدكتور فارس محسن

ـ أجل تحدثنا عنك في جلسة خاصة بيني وبينه

ـ ماذا يريد أن يعرف السيد الوالد العزيز ؟!

قالت مفكرة للحظات : يريد أن يعرف عن مدى العلاقة التي تربط بيننا .. هل نحن مجرد زملاء ورفاق جامعة .. أم أن بيننا علاقة عاطفية .. أي هل أنت صادق بحبي كما أحبك أنا ؟

ضحك سامر وقال : أحبك ، هل قلت له إنني أحبك .. لم أقلها يوما حسب علمي .. نحن أصدقاء وزملاء كلية واحدة .. أنت التي تظهرين لي حبك ليل نهار .. هل في رأيك هذه اللقاءات علامات الحب ؟

وتسألت : واتصالات الليل ؟!

فأجاب بابتسامة بريئة : الملل يا سلوى الملل .. أنا لا أحب الخروج من البيت كثيرا .. فلما أشعر بالزهق والملل اتصل بك ليزول ويذهب ضجري ومللي .

تبسمت وقالت : تسلية إذن

ـ أرأيت أنّنا تحدثنا يوما جادين عن الحياة الزوجية ؟.. أنت لا تصلين يا سلوى .. وأنت تتبرجين وهذه أشياء قلت لك أكثر من مرة إن أهلي لا يرضونها

ـ المهم أنت

فقال معترضا : وهم رأيهم مهم

ـ أنا إذا تزوجنا سأكون لك وليس لهم .

ـ لي ولهم

قالت : هل تعلم أن والدي تعجب من صلاتك وصيامك وعلاقتك بي ؟ .. أنا التي تلبس على الموضة وتأكل على الموضة .. تعجب جدا من صحبتنا .. فوالدي كما أخبرتك أنه لا يعرف الصلاة ولا الصوم

قال بأسف وحزن : قلت لي ذلك يا زينة .. وهذا الذي قد يعطل مشروع الزواج والخطبة .

ـ دخلنا في الجد .. هل حقا تفكر بخطبتي يا سامر أم تعبث بي ؟

ضحك ساخرا : أعبث بك ؟! .. لقد فتنني حسنك وهدوءك يا سلوى .. رغم أنك ابنة المدنية كما تزعمين .. فأنت ذات أخلاق تؤهلك لأن تكوني زوجتي ..

قالت بحب واضح : أشكرك .. آه كم أنا مفتونة بك !.. ألا يدل حديثك عن الخطبة على اعتراف أنك تحبني ؟!

ـ ليس ذلك شرطا .. كثير من الناس يتزوجون ثم يأتي الحب أو لا يأتي .. رجل يرى امرأة حسناء فتعجبه فيتزوجها قد يسعدان وقد يفترقان بعد حين .. ألم تخبريني عن الحب الكبير الذي كان بين والدك وأمك ؟ .. ثم انفصلا .. الحياة ليس شرط لنجاحها الحب .. ولكن الحب من مكملاتها .. الحب يضمد الجراح والتعب ..

ـ فلسفة إذن

قال : هذا الواقع .. أسباب نكاح المرأة بينها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

فرددت الصلاة على النبي فقد علمها سامر ذلك ، ثم قالت : لم أفهم

ـ أنا أعرف أنك لا تفهمين .. للأسف أنتم تعيشون بين المسلمين بأسمائكم فقط .. لكن ماذا أفعل لقلبي ؟!

ـ قلبك ؟!

قال : المهم .. الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن المرأة تنكح وتزوج لأربعة أسباب .. منها الجمال والحسن

ـ وما هي الأسباب الأخرى ؟

ـ أتحبين أن تعرفي ؟

ـ صدق أنني أحب .. ولا تظن أنني أتضايق عندما تتحدث عن الصلاة والصوم والوضوء .. إنني أتمنى من أعماق نفسي معرفة ذلك

قال فرحا : بشرى خير .. الأسباب الأخرى المال والنسب والدين .. قد يرغب الرجل بالزواج من امرأة لها مال كثير .. أو ابنة سلطان أو وزير .. أو دكتور كأبيك .. أو امرأة متميزة بالدين والخلق العظيم .

ـ جميل !.. أنا عندي جمال ومال ينقصني الدين يا سامر !



دعوة غداء

قال فارس مخاطبا ابنته سلوى ذات ليلة : إن حسناء ستقضي نهاية هذا الأسبوع معنا ما رأيك بدعوة صاحبك سامر لمشاركتنا الغداء لتتعمق معرفتنا به .. ؟

التقت عيناها بعيني أبيها وقالت: هل تظنه يقبل؟ .. علبة العصير يقبلها مني بصعوبة .. فهو يحب أن يقوم بدور الرجل فعلا .. وأن يقدم المشروبات الباردة والساخنة على نفقته الخاصة

ضحك فارس وقال : هذا صاحبك شرقي مائة في المائة .. الراجل يدفع .. والله إن صاحبك عجيب .. يصلي ويصوم ويصاحب البنات !

قال مدافعة عن صاحبها : سامر لم أره يصاحب أي فتاة .. تحية وبس ..لا يصافح أي بنت يا أبي إلا أنا .. وهو يعتبرني خطيبة له .

قال مازحا : خطيبة بدون موافقة الأب !

ـ فتاة حاولت سرقته مني .. أو أرادت إغاظتي .. حاولت الانفراد معه بحديث .. فاعتذر إلا بوجودي .. ولا تنسى أنه متقدم عليّ بسنة دراسية ومع ذلك يحافظ على مشاعري .. لكني سأدعوه على لسانك أقول الوالد يدعوك لمشاركتنا الغداء ولتتعرف على الطفلة حسناء .

قال فارس : افعلي ذلك .. ادعوه باسمي .. رغم أنني لم أقابله إلا تلك المرة .. فإن هذا الشاب يستهويني مثلك يا سلوى .

وبعد لحظات صمت قالت سلوى فجأة : أتخشى عليّ منه يا أبي ؟ إنه يريد خطبتي حقيقة كما قلت من قبل رغم أنني لم أسمعه يقول أحبك يا سلوى ابداً .. ولكن علاقته بي والجلوس معي والمشي معي تغني عن الكلام ..

ـ يبدو أنه لا يحضر مسلسلات ليحفظ هذه الجملة ..

ـ وأنا فعلا أتمنى الزواج منه يا أبي ..

قال : ولكنكم من سن متقاربة يا سلوى .. ربما يكون فارق السن البسيط من عوامل نجاح الزواج ..كنت أنا وأمك من سن واحدة تقريبا .. وعشنا قصة حب كما يقال وانسجام .. ومع ذلك فشل الزواج أمام العواصف .. فتزوجت عليها ..

فقالت باسمة : لا أعتقد أن السن سبب في تباعدكما .. فزهرة كانت تصغرك بكثير ثم طلقتها

ـ زهرة تريد الذرية .. وأنا لم يبق عندي ذرية

ـ ما هي العواصف التي فرقت بينك وبين أمي ؟

قال بعد تأنٍ: ضعف الحب بيننا ،ومشاكلي مع أهلي وأهلها

ـ جعلتها تتخلى عنا .. لابد أن شيئا أكبر من ذلك دفعكم للطلاق

ـ مشاكل أكبر!.. كانت علاقتي مع أهلي سيئة جدا يا سلوى

ـ وما زالت يا أبي .. من النادر أن أراك تلتقي بقريب .. فحتى جدنا قليلا ما نراه .. لماذا لا يزورنا الجد محسن ؟

قال ساهما : ظروف يا سلوى .. إنهم يتهمونني بقتل أمي أو إنني سبب موتها بالقلب .. أترين أنني يمكن أن أقتل أمي ؟!.. صحيح أنها ماتت على أثر موقف حاد .. فجعل بعض أقاربك أنني أنا القاتل ـ تنهد بعمق ـ مشاكل تراكمت فزاد الجفاء بيننا .. فكان البعد عنهم الحل السليم .. ولكني أقابل أبي من زمن إلى زمن في بيت الخالة أم حسن بالترتيب مع حميدة عمتك حميدة

فاجأته بسؤال : هل تحب أباك يا أبي؟

ـ هل أحب أبي؟! طبعا أحب أبي .. قد يبدو لك أن بيننا برودا فالسبب أنهم يتهمونني بمقتل جدتك أمي .. حتى أن أحد أعمامك يوم موتها صفعني مرتين أمام حشد من الأقارب والجيران لأهلي .. وحقرني وطردني من دار أبي .. واتهمني علنا بمقتلها .. كانت إهانة قاسية وعجزت يومئذ عن فعل شيء .. ولم يدفع أحد الظن عني .. فغادرت كمدا مجروحا ناقما .. علمت فيما بعد أن والدي طرد عمك من بيته .

ـ أي عم ؟ لا أعتقد العم محمودا .. فهو يتحين أيام الجمع ليراك

ـ عمك جابر ، ولا أظنك تعرفينه جيدا

ـ إنه مجرد خيال ..أنا لا أعرفه فعلا .. حتى عماتنا لا نعرفهن معرفة جيدة يا أبي .. العمة حميدة عرفتنا عليها قبل سنوات ..

ـ نعم ، للأسف معرفتكم بعماتكم ضعيفة .. وبعد طلاقي لأمك أيضا خفت علاقتكنّ بأخوالكنّ وخالتكنّ .. ومن أجل المشاكل التي أحاطتني أرسلتكن للمدارس الداخلية لإبعادكنّ عن هذه التوترات والمناكفات .. كننا ننهش في بعضنا نهشا ، نحن ليس لنا من أهلنا إلا العم محمود والعمة حميدة التي تلقينها أحيانا عندما تصحبنني لبيت خالتي أم الحسن لرؤية أبي

ـ لماذا لا تتصالحون يا أبي ؟!

ـ الأمور تعقدت يا بنية .. فعمك جابر طلق زوجته الأولى ، وتزوج أخرى بسبب مشاكل العائلة .. وقد طرده أبي من بيت العائلة الكبير .. ووالد زوجته الأولى اشترى لابنته شقة واعتنى بها وبأولادها .. فشب الأولاد يبغضون أباهم ويعتبرونه مجرما ، وأولاده من أجيالكم .. وسمعت أن خضرا تزوج من عهد قريب ، ولم يدعُ والده أحدا منا لعرسه وزفافه .. وعمتك خديجة تعرضت لحادث هلك نصف جسدها منه ، فأصبحت مشلولة فتزوج عليها ابن عمنا عدة نساء .. وباقي عماتكم لي سنوات لم ألتقِ بهنّ .. فخطوط الاتصال بيننا ضعيفة وربما مقطوعة .. كنّ بعيدات عن مشاكل العائلة فظللن بعيدات .. فمنذ موت أمي تشتت العائلة وابتعدنا عن بعض وكلٌ انشغل بنفسه وحاله ..

بعد فترة صمت عاد يقول : نعود لدعوة سامر فبادري بالاتصال به ، وقدمي له العرض .. وما دام يفكر بالاقتران بك وتعتقدين أنه جاد فليتفضل للغداء معنا

ـ لا أظن أن سامرا يعبث بي وسيغدر بي ويتلاعب بعواطفي يا أبي الحبيب .. فأنت خير من يعلم الفساد في الأماكن المختلطة .. وبائعات الهوى كثر رغم تسربلهن بالدراسة .. فنسمع قصصا تقشعر لها الأبدان إذا كانت صحيحة يا أبي .. فبعض الفتيات تبدل ثلاثة أربعة عشاق في كم شهر .. كأن العواطف لعبة ومهزلة .. وعلى رأي سامر معرض الأزياء دائم ومستمر في الجامعة ..

همس فارس : نعم ، انهزمنا أمام الغرب .. بل انسحقنا للغاية يا سلوى ، أنا وأنت وغيرنا فنحن نرى ذلك هو جمال الحياة .. بل الحياة نفسها.. ما كان أمامي إلا أن أمشي أنا وأنت في درب

التقليد الأعمى والانصياع له .. نحن الأعضاء الضعاف نلهث وراء القوي في كل شيء

ـ هل نحن نادمون؟!

رد حائرا فقال : نادمون ! كيف نندم ؟ نحن لم نصنع ذلك بأيدينا .. الدول القوية هي التي تصدر لنا كل ذلك باسم الحرية .. وكلنا يحب الحرية.. باسم الديمقراطية .. وليس من السهل السير عكس التيار .. فلما انتقلنا من مدارس الفصل بين الجنسين إلى الجامعة والاختلاط بالنساء والفتيات والأفكار وسماع الحكايات والمغامرات ضعفنا.. فهذا شيء مثير ومبهر لشاب مراهق أن يجد نفسه بين عدد من الفتيات السافرات .. يتحدث معهن في أمور حساسة يخجل أن يتكلم بها أمام الفتيان .. فماذا ستكون النتيجة ؟ يوم مع هذه وآخر مع أخرى .. فأصبحت مصاحبة هذه ومصاحبة تلك أمر هين .. بل رأيت من يتلقى عشرات الرسائل من عشرات الفتيات في آن واحد .. انفلات عجيب وماكر .. بل يوصف الشاب الذي لا يصاحب فتاة أو أكثر متخلفا ومعقدا .. والشاب المنتقل من بيئة محافظة والمحروم من مصاحبة المراهقات يجد نفسه في بيئة الجامعة والاختلاط في لهفة وهوس .. والجامعة لابد منها اليوم للدراسة والعمل في المستقبل .. حتى أننا كنا نسمع بعض قصص الشباب في كليات تعتبر محافظة كالشريعة والعربية .. أرى الوضع اليوم أخف من أيامنا .. أو أن الناس اعتبرت الأمر عاديا طبيعيا فقل تناقل مغامرات الشباب والشابات كالسابق .. ها أنت تتحدثين عن صاحبنا سامر بأنه لا يرضى بمخالطة الفتيات والعبث بهن .. أنا أذكر أيام دراستي إذا لم نجلس بين خمس طالبات أصبحت منبوذا .. ولا يعني الجلوس معهنّ خداعهنّ بالحب والزواج والأوهام إنما التسلية والعبث .. السخرية من بعضنا البعض.. والكل يخترع حكايات البطولة

ـ لقد حاول بعضهم جري لمثل ذلك بعدم الالتزام والارتباط بشخص واحد خلال سنوات الجامعة ، فهذه سنوات طوال .. ولكنّ سامرا حذرني من اللعب على الحبال ، وحذرني من كثرة الأصدقاء .. سلام وبس .

ـ وهل أطعته بذلك ؟

ـ لا أستطيع أن أرفض يا أبي .. فسامر شيء مهم كما قلت لك في حياتي .. أنا أثناء المحاضرات

أحيانا أخرج رسمه وأنظر إليه .. أرغب أن أبقى معه باستمرار.. أحاديثه وأحلامه ساحرة وممتعة .. فلو قال شيء عليّ التنفيذ .. لا تزعل مما أصرح به.. أنا مسحورة به .. أرجو ألا تتضايق من حريتي يا أبي .

ـ كيف أتضايق من صراحتك ومن عواطفك الصريحة ؟!.. أنا أحب الصراحة حتى ولو كانت مؤلمة .. نحن في مجتمع مليء بالعيوب والأمراض .. وأنا تأثرت من كلامك مع سامر .. وحبك وميلك العجيب له .. والعجيب أنه يصلي ويصوم ويعترض على ثيابك القصيرة والبنطالات

قالت : هو يريد أن أتخلى عنها بدون ضغط وإكراه ، ولكني عاجزة عن فعل ذلك .. عاجزة للغاية .. تعودت عليها وأصبحت جزءا من كياني .. وهو يعلم أنني عاجزة وضعيفة .. فقال مرة عندما تصيرين خطيبة يمكنني أن اشدد عليك يا سلوى

ـ أتستطيعين الاستغناء عن هذه الثياب ، وهذا اللبس بعد أن تعودت عليها وعن المكياج ؟!

ـ المكياج لم أعد استعمله .. ألم تلحظ ذلك يا أبي ؟ لا استعمل إلا أحمر الشفاه .. حتى العطور الباريسية أتجنبها في الكلية .. استخدم بعض العطور ذات الرائحة الخفيفة

ـ وأين تذهب عطور باريس التي اجلبها لك ؟

ـ استخدمها داخل البيت .. وبعضها في خزانة الثياب .. سامر لا يحبها ، وقال إنها تثير الغرائز وتلفت أنظار الشباب أكثر .. للروائح إثارة حادة .



حضور الدعوة

قبل سامر الدعوة التي قدمتها سلوى بلسانها عن رغبة أبيها بهذه الدعوة ، بل قبلها سريعا دون تردد أو تفكير مما أثار دهشة سلوى ؛ ولكنها لزمت الصمت في مناقشة سامر بسرعة قبوله .

وبعد صلاة الجمعة انطلق سامر إلى الضاحية التي يقطن فيها الدكتور فارس محسن ، ووجد الدكتور منتظرا أمام الفيلا ، وتصافح الرجلان وبعد التحية والسلام قال سامر : خشيت أن أضيع في هذا الحي .. لا يوجد محلات تسألهم عن بيتكم ..أسمع أن أهل مثل هذه الأحياء لا يعرفون بعضهم بعضا !

ضحك فارس وقال : إلى حد ما يا دكتور سامر.. الكل في عمله .. الرجال والنساء في الغالب فهم يحيون بعضهم بالإشارة ؛ لأن أغلبهم يركبون سيارات خاصة .. وهذه ضاحية من فلل مستقلة .. ربما نظام الشقق يسمح للجيران بالاختلاط أكثر.. أهلا وسهلا بك يا سامر.. أنا خشيت من كلام سلوى أن ترفض ..

قال سامر: هذه أول مرة أقبل دعوة مثل هذه من سلوى خارج الجامعة .. لست محبا لدعوات المحافل والمطاعم والسهرات ..

- هذا شيء لم تخبرني عنه سلوى .. ألم تخرجا معا للغداء في مطعم أو نادي ؟

- لا ، رغم محاولاتها .. حصرت صداقتنا في الجامعة

- ولا مسرح ولا سينما ؟

- لا أحب ذلك يا سيدي الدكتور .. قبل الجامعة دخلت السينما بضع مرات ، ثم أحسست بالندم والسخافة بعد حضور كل فلم ، وأنني ضيعت وقتا بغير فائدة وعلم ..أنا يا سيدي أحب العلم والقراءة الكثيرة

قال الدكتور : طال الوقوف بنا أمام البيت .. وسلوى وحسناء ينظران إلينا بغيظ .. انظر إليهنّ واعلم أنني معجب بك وبأفكارك .. فأنت رجل بمعنى الكلمة يا سامر

قال بحياء : شكرا سيدي ، وأنا أفخر بسماعي ذلك من شخصك الكريم

دخلا الفيلا وأخذت سلوى وحسناء تعاتبان أباهما على طول مكثهم أمام البيت فاعتذرا لهم

وتابع سامر قائلا : التلفزيون والفضائيات أخذت موقع السينما والمسرح وحتى المعارض

ـ نعم ، الفضائيات عالم جديد في زمننا هذا

فصاحت سلوى: بماذا تتحدثان ؟ .. التلفزيون .. المسرح .. السينما .. ظننت لما رأيتكما تتحدثان أمام البيت أنك تعتذر لوالدي عن الغداء

ضحك سامر وقال : دعوة الدكتور لا ترد ، ولو أردت الاعتذار لاستخدمت الهاتف .. هذه حسناء الحسناء .. كيف حالك يا حسناء؟ .. أنا سامر زميل شقيقتك في الجامعة .

ـ اعرف .. لقد جننتني بالحديث عنك .. أنت إنسان عادي

ضحك فارس وسامر على مداعبة حسناء فقال سامر : أنا بالطبع إنسان عادي ، ولم أنزل من الفضاء .. من كوكب آخر .. مرحبا بك

رحبت الفتاة بسامر وقالت : أنا سعيدة بوجودك معنا يا دكتور سامر .

جلسوا في غرفة الاستقبال ، وبعدما قدمت لهم الخادمة شراب الفواكه قال فارس : لقد ظهر من حديثي مع سامر شيئا جديدا لم تتحدثي به أمامي ؟

نظرت الدكتورة سلوى لوالدها باسمة وقالت : شيء جديد لا أعرفه ؟!

ـ تعرفينه ولم تتكلمي به أمامي .. علمت أنكم لم تتناولوا طعاما في مطعم خارج أسوار الجامعة لم تترافقا في غداء أو عشاء أو سهرة في نادي أو مقهى

ضحكت سلوى وقالت وهي تنظر لسامر مرة ولأختها حسناء مرة أخرى : سامر رجل محافظ يخشى أن يرانا والده .. فتصير فضيحة

تضاحك السامعون على نكتة سلوى ثم قال سامر: أبي يثق بي وكذلك أمي .. ونحن ليس بيننا رباط خاص لنسهر ونتعشى .. وسمعتك مهمة عندي يا سلوى .. وأنا لست عاجزا عن فعل ذلك .. ولست بخيلا يا دكتور فارس .. فأنا أدرس على نفقة الوالدين .. فلن يعجزهما دفع المزيد من المال ..

قالت سلوى وهي تنتقل للجلوس بجواره : أنا امزح .. لا تغضب ..

ـ ابدأ لست غضبان ولا متضايقا .. فالذي بيننا سيكون حياتنا

فقالت : وسامر يا أبي ليس من عشاق المسارح والسينمات .. ويعتبر ذلك سخافة وإضاعة وقت فمسرحنا ساحات الجامعة وأشجارها .. وهو يحب الاستلقاء على الأعشاب .. ونقضي نصف وقتنا إن لم يكن كله .. عن الحديث عن النبات والزراعة وفوائدها .. والحشرات التي تعيش عليها وعجائب أفعالها ... فأخرج من محاضرة إلى محاضرة مع أستاذي سامر .

نهض فارس قائلا : لا بأس .. ها هي بيبيانا تقول إن الطعام قد وصل ..

دخل عمال أحد المطاعم يحملون صواني الطعام والعصائر .. ودخلوا به إلى غرفة سبقتهم إليها الخادمة ، وهم يعرفونها ؛ لأنها ليست أول مرة يقدمون بها لهذا البيت .. فكل مناسبة يأكلون في البيت تحضر لهم شركة صناعة الطعام الطعام للبيت .

فلما خرج عمال المطعم دعاهم فارس للغداء . ثم عادوا بعد طعامهم إلى صالة الجلوس ، فجلس سامر على أحد المقاعد الوثيرة وبجواره فارس وقابلتهما سلوى وحسناء ، ووضع بين أيديهم الشاي ، فسامر من المغرمين بشرب الشاي كما أخبر سلوى ، فلما وضع الكوب أمامه قالت : شاي على الطريقة الفلبينية فخادمتنا فلبينية يا سامر ..

فقال سامر : كلنا أبناء آدم وحواء

فضحك فارس وحسناء وقال فارس : هذا سامر صديقنا يا حسناء

فقالت بحياء : شاب لطيف

فضحك سامر وقال بحياء : شكرا يا حسناء الحسناء .. أنت تتلقين العلم في مدرسة داخلية مثل سلوى قبل الجامعة ..

ـ نعم يا دكتور .

ـ هل أنت مرتاحة فيها ؟

ـ يعني ...

فقال فارس متحسسا: ماذا يعني يا حسناء؟! .. أنت في مدرسة داخلية لظروفنا التي تعلمينها أنا في العمل .. وسلوى في الجامعة .. ولا أم في البيت

فقالت حسناء : أنا أتمنى أن أعرف لماذا تكرهنا أمنا ؟ على غير ما نسمع عن الأمهات !

فقال فارس بضيق : أمك لا تكرهك يا حسناء ، لكل ظروفه وأحواله .. ألا تذهبين إليها كل شهر ؟.. لرؤيتها والجلوس معها

فصاحت بغضب خفيف : إني لا أحب رؤيتها ..

فنظر فارس لسامر وقال : لعل سلوى وضحت لك شيئا من طلاقي لأمهم .

ـ كأنني سمعت بعض الشيء .. لماذا لا تتزوج مرة أخرى يا دكتور فارس ؟! ..أنت ما زلت شابا

رد باسما : سأفعل في الوقت المناسب .. يا حسناء السيد سامر يدرس في كلية الطب مع شقيقتك سلوى ليصير طبيبا في الغد الواعد ..

ـ تشرفنا يا دكتور .. آسف لذكر بعض مشاكلنا وهمومنا أمامك

ـ أبدا يا حسناء .. نحن أهل ، وربما يكون ذلك قريبا إذا وافق الوالد العزيز

ضحك فارس وقد فهم مغزى كلام سامر: أوافق !.. أنت عجيب يا سامر .. اليوم الكلام لكم أنتم .. وهل إذا قلت لا ستقبل سلوى؟ .. سلوى تتحدث عنك أمامي بكلام أشعر بأنها تعبد الأرض التي تدوس عليها ..

قال سامر كأنه معترضا على تعبير فارس : استغفر الله .. استغفر الله .. العواطف في الإنسان عجيبة يا سيدي الفاضل .. أنا كما تعلم أسبق سلوى بعام دراسي كامل .. وقد التقيت بأوانس وموظفات كثر في الجامعة .. ومع ذلك لم اهتم بأي فتاة .. ومع احتكاك عدد منهن بي لتكوين صداقات .. أيضا رفضت أي صداقة بغير حدود المعرفة في قاعة الدرس .. إلى أن كنا يوما في مدرج محاضرة .. فجلست قريبا مني سلوى .. لقد كانت ثيابها جميلة ومثيرة للنظر .. وربما كل من في المحاضرة رآها وتأملها

قالت سلوى : ماذا تقصد بالمثيرة ؟ .. فأنا ألبس مثل كل بنات الكلية .. لا أذكر أني ألبس شيئا مميزا عنهن ..

فقال سامر ضاحكا : مع الاحترام لكم جميعا كنت يومها تلبسين ثيابا من ينظرها يظن أنك بلا ثياب .. معذرة يا دكتور .. لا أعرف أحيانا تلبس الفتيات ثيابا كأنها ليست ثيابا .. ثم تبين لي

أنها موضة جديدة كانت تنتشر في البلد .. وكانت سلوى أيضا تضع عطرا ظاهرا للعيان .. ورائحته قوية وجميلة ونفاذة .. فشدت نظري إليها في ذلك اليوم .. وفوق ذلك كانت جميلة .. المهم انشغلت باختلاس النظر إليها وتحركت غرائز الإعجاب نحو هذه الفتاة .. وأدركت يومئذ أن بعض النساء تفتن الرجال .. إنني أتكلم بصراحة يا دكتور .. فصرت استرق النظر إليها .. والمفاجأة أنها كانت تفعل مثلي .. وكلما تتلاقى عيوننا نتبادل الابتسام .. وتكرر النظر واختلاس النظر بيننا .. بالنسبة لي أنا كانت هذه أول أنثى تثيرني يا دكتور فارس .. اغفر لي هذا الحديث الصريح لأن له ما بعده .. وهي زعمت بعد تعارفنا أنها كانت مهتمة بي من قبل ولكني لم أكن مكترثا .. بملاحقتها .. لما رأتني أحدق بها .. اقتربت مني وأحبت أن تتعرف عليّ .. ووجد ذلك في نفسي هوى .. فرحبت بها وقلت لها صراحة إنني مفتون بك يا سلوى .. وهي أول مرة أضعف فيها أمام هذه العيون ثم صرنا أصدقاء بمعنى الكلمة

وقالت سلوى بسرور بائن : وصرت تغار عليّ .. كأننا عنتر وعبلة.. أو قيس وليلى .. افعلي كذا ولا تفعلي كذا

وقال سامر : وجدتها تعشقني عشقا كنت غافلا عنه يا دكتور .. وأنا عرضت عليها أن أخطبها بسرعة الصاروخ ..

فقال فارس : رغم أن هذا الكلام الصريح صعب على النفوس .. ولكني معجب بك .. ومعجب بأسلوبك الراقي في الحديث وتبسيط القضايا .. ولا تشعر بالحرج مع أنك تتحدث مع والد الفتاة التي خفق لها قلب الشاب .. ومع ذلك لليوم لم تصرح لها بتلك الكلمة الخالدة ـ كلمة عظيمة .. ولكن أهل العبث جعلوها سخيفة .. بعض شباب الجامعة يقولها لخمس فتيات في اليوم الواحد .. أحبك .. أحبك .. فهل هذا حب ؟ إنه لهو ولعب .. كلمة تتردد على الأفواه بشكل متكرر وممج ، ويتغنى بها المغنون والمغنيات حتى صدعت رؤوسنا منها .. الحب يا سيدي الدكتور بالقلب والفعل

فهتفت حسناء معجبة : فعلا أنت مدهش يا سامر ! .. فأنا أرى أنك محب لسلوى أكثر من روميو الذي قرأنا قصته في المدرسة .. فهي من القصص المهمة لوليم شكسبير المسرحي

الإنجليزي والشاعر العظيم .

فقال وهو يشكر حسناء برأسه : وهل يأتي طالب لخطبة فتاة من غير حب ورغبة وإعجاب ؟!

طالب .. أتعرفين معنى طالب ؟! يعني عالة على أهله في دفع ثمن المحاضرات والكتب والمصروف .

فقال فارس : إنك كبير يا سامر ! ..أنت مثقف وقارئ جيد جدا .. فأنا كما قلت آنفا لا دخل لي بالموافقة .. الأمر لكما .. ولكن أهلك يا سامر ؟

ـ أهلي .. أهلي يعرفون بصداقتي لسلوى .. ولما وضحت لهم مشروع الخطبة خلال فترة الدراسة ثم الزواج يكون بعد التخرج .. وأخذت بذكر ما أعرفه عن سلوى وأسرتها .. قالوا إنك قد ترفض بشدة

صاح فارس دهشا : أرفض ؟! هو أنا الذي سيتزوج يا سامر ؟!

تبسم سامر وقالت سلوى مستغربة لكلامه : ماذا تقول ؟ أنا التي يجب أن توافق وتقبل !

صاح سامر : أنت موافقة يا سلوى .. هل غيرت رأيك ؟

فخفضت نظرها للأرض وقالت : وهل لي رأي يا سامر ؟!

فضحك فارس وحسناء لخضوع سلوى لسامر وعاد فارس يقول : ولماذا يتوقع أهلك أنني سأرفض ؟!

نظر إليهم سامر ناقلا بصره للجميع ثم قال : لما أخبرت أمي وأبي عن سلوى ووالد سلوى ضحكا ضحكا عاليا حتى ظننت أنني أتكلم بنكتة أو طرفة .. ولما دعتني سلوى لهذا الغداء قلت إنها فرصة للمكاشفة يا سيدي الدكتور

فقال الدكتور : ما زلت في حيرة ؟ هل لوالدك معرفة بي ؟

فابتسم سامر وقال : بل هم أقارب لك .

أطفأ فارس سيجارته للمفاجأة وحدق بعيني سامر وقال : أقارب لي !

ـ أجل يا سيدي الدكتور ، قالت أمي في يوم من الأيام كان أهلها يرغبون بتزويجها منك

وقف فارس دهشا وقال : يا الهي !.. حبيبة محمد .. أمك ابنة عمي.

ـ عرفت من عهد قريب أن أمي ابنة عمك .. فأبي هو الدكتور خالد موسى وأمي من ذكرت فلما تزوجت السيدة ثريا تزوج أبي خالد الطبيبة حبيبة وأنا ابنهم البكر .

وضع فارس ـ وهو يعاود الجلوس ـ رأسه بين يديه وقال: يا الله !



تلقى فارس اتصالا هاتفيا من شقيقته حميدة محسن قالت بعد السلام والسؤال عن الصحة : إن أختك أمينة وأنا ندعوك لحفل زواج ابنها محمد على ابنتي ناعسة

ـ البنت صغيرة يا حميدة !.. أليست البنت الصغيرة ؟

ـ هي صغيرة بالنسبة لبنات اليوم .. فبعد سنة تأخذ الثانوية العامة .. لكن ابن أختي راغب بالزواج منها .. وأبوها موافق ، وكذلك البنت لم تمانع ولم نجبرها يا دكتور ..

ـ ومحمد هذا ماذا يعمل ؟

ـ هو مهندس .. عمره خمس وعشرون سنة .. درس هندسة مدنية .. أنت لا تعرفه .. أولاد أمينة أربعة وبنت واحدة ..هو معجب بالبنت .. وبين والده وزوجي قرابة أيضا .. وأنا يوم الخطبة لم أدعوك لمعرفتي برفضك لمثل هذه الحفلات العائلية كما عودتنا ..وأما اليوم فربما تغير الوضع

ـ تغير لماذا؟

ـ سمعنا أن ابنتك قد تتزوج من ابن حبيبة الدكتور سامر .

تبسم فارس وقال لنفسه لا شيء يُسر ثم رد : حقيقة كانت مفاجأة لي معرفة سامر خالد بسلوى وهو ولد لهلوب وعقله كبير .. أتعرفينه يا حميدة ؟

ـ لأ ، منذ تزوجت حبيبة من الدكتور خالد ، وعلاقتنا ضمن المناسبات الضيقة كعرس أو مأتم والدكتور خالد قليل الاختلاط بنا وبعائلتنا .. وحتى زيارات حبيبة العائلية لا يرافقها فيها كثيرا .. فهو مشغول في عيادته ومرضاه .. وسامر لا أعرفه قطعيا .. ربما كنت أراه صغيرا

ولكني اليوم لا أذكره .. فقط أسمع باسمه عندنا يأتي حديث أولاد حبيبة في أثناء أحاديثنا العامة والعابرة .. وحبيبة كما تعلم طبيبة مثل زوجها وعندها خمس أو ست مواليد .. وهي سيدة فاضلة وتكنى بأم سامر ..

ـ متى حفل زواجكم وأين مكانه ؟

ـ يبدو أنك ستغامر بالمجيء .. فحفل زواجنا سيكون في صالة حفلات عنوانها (صالة الشهد في شارع بهلول الشامي) الساعة التاسعة ليلا يوم الأربعاء

قال مضطربا : إذا جاءتني الشجاعة يا حميدة سآتي ومعي البنات .. هل سيدعى الدكتور خالد لهذا الحفلة ؟

ـ نحن في مثل هذه المناسبات يا فارس ندعو كل بنات العم وأبناء العم وأبناء الخالات .. وحبيبة ابنة عمي محمد .. وأنا وأمينة أهل العروس والعريس .. سندعوهم بإذن الله تعالى .. وسأدعوها بالهاتف أيضا فوق كرت الدعوة .. وأبين لها رغبتك بالتعرف على الدكتور خالد والد سامر .. أليس ذلك جيدا ؟

ـ أنا أعرف ذكاءك يا حميدة .. أنا بالنسبة لزواج سلوى من ابن حبيبة لا اعتراض عندي .. الأمر كله لسلوى وسامر .. فهي التي ستوافق وتتحمل مسؤولية الزواج المبكر .. وأنا ليس في قلبي ضغينة لحبيبة .. أو غيرها .. وأنا لم أقل لحبيبة يوما ما إنني سأتزوجك .. إنما هو كلام الكبار .. تقليدا للعادة التي كانت سائدة قديما لا خيار للبنت .. اليوم الزمن تغير .. والمرأة لها حرية اختيار أكثر .

ـ توكل على الله .. والأمر لله .

قالت سلوى لسامر بهمس: والدي يرغب بأن نزوره في مكتبه اليوم قبل مغادرتنا الجامعة

ـ والدك لم يرفض كما توقعت أمي .

ـ أمك مخطئة .. أبي كما قال رأيي أنا المهم .. وتابعت وهي تبتسم : أنا يا سامر التي ستقبل أو ترفض

فقال متهكما وغامزا : مناي أن ترفضي ..

استمرت في ضحكها وقالت : للأسف لا أستطيع .. لو تتخلى عني يا سامر سأموت كمدا .. رغم وجود الكثير من الرجال هنا .. لم أجد بينهم إلا أنت رغم محاولات البعض معاكستي يا سامر .. جذبتني أنت وحدك

فقال : عجيب أمر القلوب يا فتاتي! ..إنني أسمع صوت المؤذن سأذهب للوضوء لقد فسد وضوئي في إحدى المحاضرات لم اصمد على وضوء الصباح .. ثم سأذهب للصلاة .. هل تعلمت الوضوء يا سلوى؟

تنهدت بأسف وأجابت : أذكر مرة أنك شرحته لي .. صدق سأصلي وأصوم عندما أخرج من بيت أبي .. إني أحب ذلك .. فبيتنا مليء بالشياطين يا سامر

ـ إذا صرت في بيتي فلا أقبل الكسل والتهاون في مثل هذه الأمور .. أمي تغضب عليك وعليّ أنا لما فاتحتهم بأمرك كان أول استفهام لهم كيف هي والصلاة واللباس ؟

ـ مناي أن أرى أمك يا سامر .. التي كان أهل أبي يرغبون بتزويجها من أبي ..

ـ وهي مشتاقة إليك ، وقالت كما قلت الآن المنى والرغبة أن أرى ابنة فارس يا سامر .. القلوب عند بعضها يا سلوى .. إنهم يتعجبون للقدر الذي جمعنا

فهتف سلوى بسعادة : أنا أحب أمك .. أحس أنني أحبها أكثر من أمي رغم أنني لم أرها

أخرج سامر رسما لها وقال : تأملي هذه الصورة للتي ستكون حماتك في وقت قريب .. تأمليها حتى أعود من الصلاة .

استقبل الدكتور فارس سلوى وسامرا ورحب بهم وسألهم عن المحاضرات التي استمعوا إليها هذا الصباح ، وأحضر لهم فراش القسم قهوة وبعد ذلك قال : أريد أن التقي بأسرتك يا سامر إذا لم يكن لديك حرج .. أريد أن أتعرف على والدك الفاضل .. مع أنني لابد التقيته يوم زواج أمك .. في مناسبات مهمة في العائلة لكنني لا أذكره جيدا ..

قال سامر : هو أيضا يعرفك بحكم المناسبات التي أشرت إليها.. وهو راغب بالتعرف عليك أكثر .. فأنا قبل ساعات كنت أقول لسلوى إن أمي راغبة بالالتقاء بها .. ومشتاقة لرؤيتها .

ـ أمك حبيبة .. إني أذكرها جيدا يا سامر .. فأخوها مازن خالك زوج أختي الكبرى خديجة ..

قالت سامر بشفقة : هي اليوم نصف مشلولة شفاها الله .. ومازن عدوك اللدود كما تقول أمي هو خالي .. وأمي سعيدة جدا يا دكتور لو حصل هذا الزواج وتعتبره من أعاجيب قدرة الباري وسلوى أغرقتني بالخجل وقد أقرت بأنها تحب أمي قبل أن تراها ..

ضحك فارس وعلق : يا سيدي ابنتي تموت فيك .. ولو أحببت حجرا لأحبته سلوى .. أنا مستغرب من حبها واستسلامها لك يا سامر ..

فقالت سلوى : بل أحبها أكثر من أمي .. التي تخلت عنا

نظر فارس لابنته وقال : ستبقى أمك يا سلوى .. نحن اخترنا الانفصال لظروف أحاطت بنا وهي كانت تضع الزواج ثانية بين عينيها .. وهي لم تتخلَ عنكما ؛ ولكني أنا طلبت حضانتكما ورعايتكما بدون تدخل المحكمة وحكم القاضي .. كنت في أول سنوات المراهقة فأحببت تجنيبك المشاكل والعقد النفسية التي ربما تصدر عن انفصال الأبوين يا سلوى .. وكنت أرى يا سامر أنها لا تصلح لهما أما في ذلك الوقت .

فقالت سلوى : وأنا أحببت أم سامر لأنها أحسنت تربية سامر .. ووهبتني إياه .

فضحك سامر وفارس على طيبة سلوى وسذاجتها

فقال فارس : أكيد يا سلوى .. فسامر مخلوق عجيب ومحترم .. فثقافته وسلوكه وفكره أكبر من سنه ما دام يفهم في النباتات والحشرات والفلك والعواطف والعطور .. الاستقرار العائلي له دوره المهم في سعادة الإنسان وتنشئة الأطفال

قال سامر : هو ما تقول يا دكتور فارس .. والحياة لن تكون صورة واحدة .. التباين والتوافق كل هذه من صور الحياة الدنيا .. وأنا يشرفني أنا أكون عند حسن ظنكم .. وسأرتب لدعوة لكم مع الأسرة .. ولا تنسوا بالطبع صحبة حسناء بمعيتكم للتعرف على أهلي وأخواتي إن شاء الله

ـ شكرا يا سامر .. فحسناء طبعا مبهورة بك .. وقد أغدقت المديح عليك وعلى سلوى لحسن اختيارها لك .. بعد مغادرتك ذلك اليوم .. هناك عرس لابن وبنت شقيقتيّ هل دعوت له ؟

فانتبه سامر وقال : كأنني سمعت بعض الحديث عنه في البيت .. بنت السيدة حميدة وابن شقيقتك أمينة ..

ـ نعم ، دعتني حميدة لذلك ووعدتها بالحضور .. فعلاقتي بحميدة دون أخواتي جيدة يا سامر فهذا العريس الذي اسمه محمد صدق أنني لا أعرفه جيدا .. بسبب مشاكل العائلة القديمة .. ولكن ابنها العريس شاب متعلم ومتخرج من كلية الهندسة .. وللأسف أنني لا أعرف أبناء أخواتي يا سامر .. والعجيب يا دكتور أن العروس تعتبر طفلة لم تأخذ الثانوية .. ما زال بعض الناس يتزوجون بناتا صغارا !

فقالت سلوى : ما زالت في المدرسة إذن

ـ ابنة سبع عشرة سنة .. ولكن الشاب يريدها .



التعارف

تناول الدكتور فارس وبنتاه الغداء على مائدة الدكتور خالد موسى وزوجته حبيبة محمد ، وكان لقاؤهم وديا وعاطفيا ، وقد احتضنت حبيبة بنتيّ فارس وهي تستقبلهما حتى أن دموع سلوى لامست وجه حبيبه وهما تتعانقان حتى أن حبيبة همست في إذنها : ما يبكيك ؟!

فسمعها فارس فرد عنها قائلا: لابد أنها تذكرت أمها

فمسحت دموعها وقالت : أجل يا أبي

وكانت حبيبة تعانق حسناء وتحضنها بعد أن تركت سلوى ، وسمعت فارسا يقول لابنته مؤنبا أو مذكرا : سلوى يا حبيبتي.. ليست كل النساء واحد .. نحن ضيوف

فقال الدكتور خالد : بل نحن أهل يا دكتور فارس .. أنا منذ زواج حبيبة لم أرك يا أهلا وسهلا بك يا أبا سلوى

ـ وأنا كذلك .. سعيد برؤيتكم .

ومع الغداء نسيت حادثة بكاء سلوى ، واندمج القوم بالحديث شرقا وغربا حتى قالت حبيبة : لما حدثني سامر أنه التقى بفتاة معه في الجامعة واستلطفها واستحسنها وأن لديه رغبة بطلب يدها والزواج منها .. طبعا لم نهتم أنا ووالده .. قلنا شاب انتقل من مدارس ذكورية لجامعات مختلطة .. فبعد حين سيغير رأيه ويتعرف على فتاة أخرى كعادة الطلاب والطالبات في الكليات المختلطة .. فنحن أيضا تعلمنا في الجامعات ونعرف مثل هذه القصص يا دكتور

فقال فارس : هكذا كل الأماكن المختلطة سواء الجامعات الحدائق النوادي .. وهي من حياة الجامعة .. فاليوم لا يكترث لمثل هذا القصص من كثرتها وتكرارها .. إلا إذا حدثت كارثة أخلاقية أو قصة فاضحة .. فالناس ما زالت تحب سماع فضائح الآخرين ويتذوقونها .. وتلوكها الألسن ، ثم بعد حين تذهب الحكاية أدراج الرياح ولا أحد يهتم بها إذا ظهر غيرها آ ، يا حبيبة لما أعلمك سامر بعلاقته بفتاة في جامعته

تبسمت حبيبة وقالت : قلت أنا وخالد أمر طبيعي اليوم .. ثم أخذ يكرر الحديث عن إعجابه بسلوى والخطبة لتصحيح الأمر بينهما وعدم الانحراف فقال له خالد لا تتعجل يا سامر .. ربما

تلتقي غدا بفتاة أخرى وتغير إعجابك فأنت في بيئة مفتوحة وهذه سنوات سبع .. وظل سامر يدندن حول الخطبة والزواج ثم حدثنا أنه اجتمع بوالد الفتاة وهو دكتور كبير في كلية الآداب وبعد حديث عرفت أنها ابنتك فدهشت أنا وخالد للتقدير الإلهي حتى أن أبا سامر علق قائلا فارس يهرب من العائلة ، فهل يقبل بزواج ابنته ممن كانت العائلة ترغب بتزويجه إياها؟! .. ثم لما دعوتم سامرا للغداء معكم وأنه سيتحدث معك بموضوع الخطبة والزواج قلت له إن والد الفتاة قد يرفضك ولا يرضاك زوجا لابنته .. فاستغرب للغاية فصارحته بقرابتنا .. وأنك ابن عم لي .. وأن خاله مازنا متزوج من شقيقتك السيدة خديجة .. وسردت على مسمعه رغبة العائلة القديمة بزواجنا وأنك تزوجت امرأة تعلمت معها وأنا تزوجت من والدك خالد .. وذكرت له المشاكل التي ترتبت على زواج فارس من امرأة غريبة عن العائلة

فاستغرق فارس بالضحك ثم قال بعدما سمع بعض التعليق من السامعين : أقدار يا حبيبة .. لم يكن شيء رسمي بيننا يا دكتور خالد .. وكما تذكرين يا حبيبة .. عندما تزوج مازن من ابنة عمه اختنا الكبرى أرادوا أن يجاملوا بعضهم والدي الأصغر من عمي محمد فقالوا لما يبلغ فارس وحبيبة سن الزواج فهما لبعض .. وشاع الأمر في العائلة فارس لحبيبة وحبيبة لفارس . هو كلام ولا رأي لي ولا لك يا حبيبة هو رأي .. سكتنا ابن العم لبنت العم .. ولما دخلت الجامعة صار معي ما صار لسلوى وسامر .. تعرفت على ثريا .. ودراسة شاب فقير من أسرة معدومة تشتغل لتأكل ينتقل للدارسة في الجامعة ، ويجد نفسه في مجتمع منفتح بنات تعرض أجسادهن ونحورهن للشباب بدون حياء ولا خجل .. ولا يعني هذا أن كل الفتيات يفعلن ذلك .. فهناك فتيات وطالبات محترمات لكن تلك البيئة التي وجدت نفسي فيها تساعد على العلاقات غير السوية .. الجامعة تعني الانفتاح .. فإما الانحراف والزنا وإما الحب الصادق .. فكانت ثريا القدر والنصيب .. واستمرت صداقنا حتى تخرجنا ثم كان الزواج لابد منه .. فثارت العائلة ابنة عمك ابنة عمك التي لها سنوات تنتظر .. مع أنك كنت ما زلت على مقاعد الجامعة لم تتخرجي بعد

فقال خالد : العادات .. والتعصب لتلك العادات .. فنحن اليوم نشرف بك يا أبا سلوى

وبمصاهرتك .

ـ ونحن نتشرف بكم .. وأنا قلت للدكتور سامر ..لا أستطيع أن أقبل أو أرفض فالأمر لسلوى هكذا علمتني حياة الحرية والانفتاح .. مع اكتشافي للكثير من الشوائب فيها .. ودارت حياتي الخاصة في أحوال صعبة وسيئة حتى اضطررت للزواج السري لابد أنكم سمعتم بهذا بحكم القرابة بيني وبين زوجتك الفاضلة .. تزوجت من إحدى طالباتي ، ثم اضطررت ثانية لطلاقها لرغبتها في الولادة والذرية .. ولم استطع أن أقدم لها ذلك .. وقد غادرنا للحياة في مدينة نصر لبداية حياة جديدة لكن لرغبتها الشديدة للحمل فشل الزواج .. فعدت أعزبا .. وقد حاولت الزواج أكثر من مرة وبسبب ضعفي في الإنجاب .. يرفضن .. حتى مربية حسناء الفرنسية عرضت الزواج عليها ، ولما صارحتها بعدم قدرتي على الإنجاب رفضت .. وحتى قلت لها سأسمح لك بتبني طفل أو طفلة .. فرفضت وقالت تزوجت مرتين وفارقتهم لرفضهم الإنجاب .

فقال خالد : غريزة الأمومة كما يقال .

ـ تقريبا .. فاستسلمت لقدري والبقاء بغير زواج .. نساء يردن أبناء .. حتى أنني أذنت لزهرة زوجتي الثانية بتبني طفل من ملجأ أطفال فرفضت .. أنا منذ تزوجت بثريا شرطت عليها بمولودين فقط

فقال خالد متحمسا: أترغب بالزواج يا دكتور أم انتهى التفكير بذلك ؟!

ـ حاولت ورغم أن لي سنوات بدون زوجة .. ولكن إذا وجدت من ترضى بي على علاتي سأتزوج .

قال خالد : والبنات ؟

ضحكت سلوى : أنا لا اعتراض لي يا عم خالد .. فمن حقه أن يتزوج .. وهو كما سمعته بحث ولم يجد لحتى الآن .

ـ وأنت يا حسناء .

ضحكت حسناء وقالت : نحن يا عمي نحب لأبينا كل خير وتعودنا على زوجة الأب .. ونحن

لم نعش معها إلا في فترة العطل والإجازات

فعاد خالد ليقول : أنت تريدها متعلمة ومتخرجة من الجامعة ؟

تبسم فارس وقال : أكيد يا دكتور خالد .. حتى نستطيع أن نتحدث ونتناقش في موضوع ونفهم على بعضنا البعض .. فإذا حولك امرأة تراها مناسبة للعيش معي تالي العمر .. فبارك الله فيك ولابد أنك بحكم عملك مع الناس في العيادة .. مرت عليك مطلقات أرامل .. امرأة ليست بحاجة لخلفة .. وبحاجة لزوج فعلى الرحب والسعة يا دكتور .. جئنا نتعرف على أهلنا فصرنا نبحث عن خطيبة لنا .

قالت حبيبة مشجعة : لن يبخل عليك الدكتور خالد بذلك .. ما رأيك في ابنة الدكتور حمزة يا خالد ؟

هتف خالد من توارد الخواطر وقال : والله هي التي وقعت في بالي يا حبيبة .. تزوجت مرتين وطلقت من أجل الخلفة .. فشل زواجها بسبب عدم قدرتها على الحمل والولادة .. بل حاولت عن طريق أنبوب التخصيب ..ولكنها لم توفق .. وهي ليست جميلة يا دكتور لكنها مقبولة وطيبة .. هل أعرفكم بها وأهلها أم أتحدث بك عندهم ؟

فقالت حبيبة مذكرة : بس هي يا دكتور فارس تصلي وتلبس الشرعي .. لا تحب السفور والتبرج

فحك رأسه فارس وقال : هذه مشكلة .. لن تقبل بي .. بصراحة أنا ابن المدنية .. أشرب الخمر بين الحين والآخر .. أنا متحرر للآخر كما يقال عنا من قبل الشيوخ .. وعملي بتدريس الفرنسية وحبي لها يجعلني أقلدهم .. لبسا أكلا شربا سهرا .. فأنا أعيش مثلهم .. لكنني لم أعشق الفجور والخلاعة ..والخليلات ..

فقال خالد مزيلا للحرج : على كل حال إذا تذكرت امرأة غيرها تناسبك وتقبل بتقاليدك وعاداتك.. سأتصل بك

الحفل

ذهب فارس وابنتاه إلى صالة حفل زواج محمد وناعسة أبناء أختيه أمينة وحميدة ، وكان ذلك في الوقت الأخير من الحفل ، وجلس على إحدى الموائد بعد أن حيا الجميع رافعا بيده للأعلى ، وقد قدم التهنئة للمهندس محمد ووالده اللذين كانا يستقبلان المهنئين على مدخل القاعة .

وكانت البنتان قد دخلتا القاعة المخصصة للنساء ، وكان الخبر منتشرا بين أفراد العائلة أن ابن حبيبة سيتزوج ابنة الدكتور فارس محسن ، فكانت التهاني تنهال على سلوى من فتيات ونساء لا تعرفهن .. وقدمت إليها حبيبة واحتضنها هي وأختها وكذلك فعلت عمتها حميدة .. وأخذت تعرف بعض الفتيات والنساء على بنات فارس .. حتى أن سلوى جلست على كرسي من كثرة المصفاحات والمعانقات ، واجتازت تلك الحفلة بشق الأنفس ، فلما ركبت بسيارة أبيها تنفست الصعداء وقالت لأبيها : كل هؤلاء أقاربك !

تبسم وقال : أكيد تعبت من كثرة السلام والتقبيل .. أنا لي أربعة أعمام وست خالات وأنا وإخوتي سبعة .. فلابد أننا أنتجنا جيشا من سكان هذه الأرض .. أرجو أن تكنّ سررتنّ بلقاء أقاربنا الأقربين

فقالت حسناء : تعبنا من كثرة السلام والمصافحة والمعانقة ..

ـ لأنكن أول مرة تلتقين بمثل هذه الجمع من تجمعات العائلة .. كان بيننا جفاء وعلاقتنا بهم سيئة .. ولعل زواج سلوى بابن حبيبة سيحسن من الحال وتختفي أو تضعف الأحقاد .. وأنا لولا حسن صحبتي لحميدة أم العروس ما ذهبت .. أكانت أم سامر في الحفل ؟

قالت سلوى : أمي حبيبة أشهرت خبر خطبتنا القريب .. مع أن الخبر معروف بينهم ؛ لأن من كانت تسلم تبارك لي بالخطبة .. مع أننا كما تعلم لم نفعل شيئا رسميا ، وأمي حبيبة امرأة رائعة وطيبة ومحبوبة .. لا أدري لماذا لم تتزوجها يا أبي ؟

ضحك فارس وقال : لو تزوجتها من أين سيأتيك سامر ؟ .. هذا قدر ونصيب

ـ صدقت يا أبي .. إنها حبيبة فعلا .. وكانت تفتخر بنا أمام أهلها .. وسمعتها تقول قدر الله لي أن أتزوج طبيبا .. وها هو ابني سيتزوج طبيبة .. وعانقتنا أنا وحسناء بحنان وحب .. وكل

نساء العائلة يحترمنها ويقدرنها .

فقالت حسناء : حقيقة أنت يا سلوى محظوظة جدا بهذه الأم الطيبة .. إنها تعالج نساء العائلة لوجه الله .. وتشارك في جمعيات لمساعدة الفقراء والمحتاجين .. بل تغضب وتتضايق إذا امرأة من قريباتها لم تتعالج عندها إذا كان المرض ضمن اختصاصها .. فهي طيبة .. ويتحدثن عنها بحب ووفاء .. لقد سحرت بها يا أبي .. لو تجدون لي عريسا عندها

قهقهة فارس وقال : كم عمرك يا حسناء ؟

ـ خمسة عشر عاما

ـ وتفكرين بالزواج ؟

ـ ها هي ناعسة بنت عمتي سبعة عشر عاما وتزوجت

فقال فارس ساخرا : حسنا .. اقنعي حماتك يا سلوى باختيار أحد أبنائها لأختك .. لتتزوجا في يوم واحد ..



كان سامر يجالس ويخاطب سلوى وهما يجلسان على مقعدين في إحدى حدائق الجامعة قائلا : كنت نجمة الحفل .. كيف وجدت حفلة أقاربك يا سلوى ؟

ـ وأقاربك .. أليسوا هم أخوالك ؟

قال ضاحكا : هم أقارب أمي صحيح .. ونعم الأقارب .. ما دامت بينهم سلوى ووالدها فارس ..

ـ لقد تعبت خدودي من القبل يا سامر .. الكل يريد أن يسلم ويعانق .. وجلست على كرسي من الإرهاق ..

ـ قالت أمي إنك وحسناء كنتما نجمتي الحفل أكثر من العروس .. فحضور والدك لهذا العرس كان عجيبا ومدهشا للناس .. كانوا يتوقعون اعتذاره وخاصة لما تأخر عن الحضور

قالت : هذا كان في بال الوالد ، ولكن حميدة عزيزة على قلب الوالد .. فهي صديقته الوحيدة من أخواته الأربع ..

عقب قائلا : عمك محمود علاقته جيدة أيضا

ـ وعمي محمود يودنا ، ويتصل بأبي ، ويزورنا بين الحين والآخر.. وهو عم مسكين لم يرزق البنين والبنات .. أتعرفه يا سامر ؟

ـ التقيت به أكثر من مرة .. سلام وكيف حالك ؟ .. وهو دائم الحزن ؛ ربما كما قلت ؛ لأنه لم يخلف ذرية .. هل التقيت جدك محسنا ؟

ضحكت وقالت : إنني أعرفه يا رجل .. أعرفه طفلة .. ونحن نلتقي به مع أبي في بيت خالة أبي أم الحسن .. أثناء السنوات الماضيات .. لا أدري لماذا لا يذهب أبي إلى بيته ؟!

ـ إذن تعرفين الحاج محسنا .. لربما خشية أن يلتقي برجال لا يرغب برؤيتهم كعمك جابر .. وزوج عمتك خديجة مازن شقيق أمي ..

ـ نعم ، أبي كثيرا ما يذكر هذين الاسمين بغضب ونقمة

قال : حكاية قديمة يا سلوى .. اليوم خالي مازن يشفق عليه

ـ لماذا ؟!

ـ منذ هجره لزوجته خديجة المصابة بالشلل وهو يتزوج ويطلق .. تزوج على أثر مرض عمتك امرأة أنجبت له طفلين .. ثم طلقها بالمعروف .. وتزوج ثالثة .. وبعد سنين طلبت الطلاق ، وكانت قد وافقت على بقاء أولاده من امرأته الثانية معهم ..لأنه قبل طلاق الثانية على شرط بقاء الأطفال معه .. ثم تزوج الرابعة ومشاكله معها لا تنتهي ، وصابر كما يحدث أمي على مضض .. المهم أنك سعدت بعرس ابن وبنت عماتك ..

ـ أعراسكم غير مختلطة .. كنت أحلم بأن نجلس معا .. لا نسلم على بعض فقط .. كأننا أغراب وكم احمر وجهك وأنا أسلم عليك أمام الناس !

ـ الحياء من الإيمان .. كنت على كل حال جليس والدك بعض الوقت .. وكان حديثنا عن خطبتنا .. وعلمت من أبي الذي رافقنا لهذه الحفلة ومن والدك أن أمرنا سيقرر قريبا .

ـ هل تعلم يا سيد سامر إن حسناء وقعت في حب أمك وتريد عريسا منها ؟!

ـ عريسا لمن ؟! لها .. قولي لها أمامها شوط طويل حتى تصل لمرحلة الزواج .. على كل أمي

أحبتها كما أحبتك واعتبرتها ابنة لها ...آه .. البكاء أتبكين ؟ إنني آسف يا سلوى .. أكيد ذكرتك بأمك .. ما أخبارها هذه الأيام ؟

ـ لي أكثر من شهر لم أرها .. إنها من النادر يا سامر أن ترفع التلفون للتحدث معنا زاعمة أنها لا تحب سماع صوت أبي .. ولما نتصل لنرتب للقاء وزيارة تزعم أنها مشغولة وأن زوجها مريض والبيت مشغول .. حجج كثيرة تلقيها في وجوهنا ومرات بضغط من أبي نذهب إليها بدون موعد .. تضطر لاستقبالنا بعض الوقت ..

ـ ألها أولاد من زوجها الآخر ؟

ـ لأ ، هو رجل كبير وعليل .. وهو صاحب لوالدها ترمل عن أم أولاده .. ولم يتقدم أحد للزواج من أمي .. فزوجها الرجل لصديقه .. وهو يسكن في عمارة مع أولاده أو بعضهم .. وربما يكون هو الذي منعها من الحمل ..

وصمت الشابان لحظات ثم عادت سلوى تقول : قلت لي إن كلاما في الحفلة كان حول خطبتنا فمتى ستكون الخطبة ؟

ـ لم يحددوا تاريخا ما .. المهم ـ إن شاء الله ـ قريبا .. وليس فقط خطبة .. بل سيعقد عقد الزواج أثناء الخطبة

فقالت : لماذا لا نتزوج على الفور يا سامر ؟ ..

ـ نحن على مقاعد الدرس يا فتاتي .. وأمامنا سنون .. ثلاث أربع سنوات يا بطلة

ـ إني لا أحب مفارقتك .. أحب أن أبقى معك باستمرار يا سامر .. إنني انتظر ساعات الدوام بهوى وهوس .. انتظرها بفارغ الصبر أيها العزيز .. الشوق غلاب .. كم أفرح عندما يرن الهاتف في الليل ..

فقال سامر : وعندي من الشوق ما عندك .. لا تظني أنني جامد العواطف .. ولكن أحيانا لا استطيع أن أتحدث عن العاطفة التي أكنها لك في قلبي يا سلوى .. أنا اعترفت لك أنك الفتاة الوحيدة التي جذبتني لهذا الذي يسمونه الحب .. وأنا ـ إن شاء الله ـ حبي لك صادق .. وليس لهو ولعب كما نراه من الكثير من زملاء الجامعة .

ـ آه .. ما أجملك لما تعترف بهذا الكلام المقدس عندي ! .. وأنا أصدقك .. بدأت تعترف .. فكلمة الشوق كلمة مثيرة واعتراف خطير

ضحك لكلمة اعتراف وقال : اعتراف!!.. وكل هذه الأيام والساعات التي أقضيها بصحبتك والحديث معك ليس فيها اعتراف واستسلام للقدر الذي ربطني بك .. لقد فتنت بك مذ رأيتك أول مرة لفتي نظري فيها بالمدرج

ـ لقد سبقتك في هذه النظرة .. كنت ألمحك باستمرار .. وأحاول لفت نظرك إليّ ولكنك كالناسك لا ترفع نظرك إلى النساء ..

ـ منذ وطئت قدماي هذا المكان صممت يا سلوى أن لا ادع وقتا للنساء في حياتي .. قررت الصوم عن ذلك حتى أتخرج .. ولكني فشلت عندما وقع نظري عليك .. وقعت في غرامك ضعفت ..

ـ يا سلام .. دخلنا على الغرام بعد الشوق

ـ عندي لك مفاجأة يا سلوى

ـ مفاجأة!! ما هي ؟

ـ قلت مفاجأة .

ـ وكيف اصبر ؟!

ـ أنا اعلم أن صبرك ضعيف .. على كل حال سأكشف لك الخبر .. أأنت متأكدة مائة بالمائة من عواطفك نحوي يا سلوى ؟! وتقبلين بي شريكا لحياتك .

نظرت إليه بدهشة وقالت : أأقبل ؟ ما أسخف هذا السؤال ! وهل بعد سنة تُسئل سلوى هذا السؤال ؟!

فخاطبها بشكل تمثيلي : يا بنت الزواج ليس مثل هذه الجلسات والأوقات نتسلى بها

هتفت بغيظ : نتسلى بها .. نحن نتسلى

قال : الزواج مسؤولية أتعين ذلك ؟

ـ ما معنى مسؤولية ؟

ـ صح ما معنى مسؤولية ؟ .. فعلا أنت لا تعرفين المسؤولية .. الغسيل عند الكوى والصباغ والصحون عند الخادمة والطعام من المطاعم .. عمرك غسلت وكويت نظفت مائدة وأطباقا ؟

ـ أتضحك مني ؟.. ما دام الخدم موجودين لماذا أغسل وأنظف ؟

ـ أترتبين فراشك لما تنهضي من النوم ؟

ـ ولماذا الخادمة ؟! التي يدفع أبي لها راتبا وأجرة

ـ معنى هذا يا حلوة .. أن اجلب لك خادمة معي ..عندما نتزوج .. سلوى وخادمة

ـ لقد رأيت في بيتكم خادمة ؟

ـ عند أمي وأبي خادمة .. صحيح ليس عندي يا سلوى .. عندما احتاج لكوب شاي أو كوب ماء سأطلبه من خادمة أمي وأبي ..

فقالت ببساطة : تعودت على الخادمة منذ طلاق أمي .. وسأتعلم لن أجبرك على التعاقد مع خادمة

ضحك سامر وقال : تتعلمين ماذا ؟ وماذا ستتعلمين ؟ أنا كما تعلمين أهلي ينفقون عليّ وعلى تعلمي في كلية الطب وأنت كذلك .. فهل سينفقون على خادمة إذا تزوجنا ؟.. أرأيت علينا أن لا نفكر بالزواج ونحن على مقاعد الجامعة ونحن عالة على الآخرين ؟

ـ فإذا عمل الشاي سيعطل زواجنا فسأتعلمه بسرعة .. ولا أظن أنني لا استطيع فعله .. صحيح أنا لم أجرب ذلك .. وليس الأمر صعبا ..

ـ والطعام والطهي

ـ يا الهي !.. أشياء لم أفكر بها صدق يا سامر

ـ ألم أقل لك الزواج مسؤولية ؟.. هناك زوج يريد أن يأكل ويشرب الماء والشاي والقهوة ويلبس ثيابا مغسولة ومكوية ..

قالت : أتعلم كل شيء .. مع الوقت أتعلم وأتقن فعل هذه الأشياء .. نحن منذ وجدنا على هذا الكوكب .. نعتمد على الأم والخدم .. وحتى المدرسة الداخلية كان موظفو الخدمة يقدمون لنا الوجبات والخدمات .. أما ترتيب الغرف والملابس كنا نمارسها في غرف المدارس الداخلية ..

كل فتاة لها سرير وخزانة .. وعلينا كنس الغرفة يوميا .. وعاملات الخدمة يدخلن الغرف لنظافتها كل أسبوع مرة .. بالمكنسة الكهربائية ..

ـ ها أنت تحملت بعض المسؤولية

ـ أتعلم يا سامر .. كما أنا أتعلم في كلية الطب .. قل لي المفاجأة

ـ المفاجأة هي رغبة والديّ بزواجنا المبكر .. والسكن معهم في البيت .. وتحمل نفقات بيتنا من ماء وكهرباء واتصالات وطعام وتأثيث البيت .. لكن الخادمة لم اسمع أبي وأمي يتحدثان عنها

قالت بفرح غامر : سأقوم بواجباتي الزوجية كما تحب يا سامر .. المهم أن نتزوج وأن أعيش مع أمي حبيبة

ـ هذا ما سمعت الأسرة تتحدث عنه يا سلوى ؛ ولكن هل يرضى والدك بزواجك قبل التخرج الذي سيبقى له خمس سنوات

قالت متظاهرة بالاعتراض على حشر والدها في أمرها : أبي ؟!.. قلت لك ألف مرة الأمر لي أنا يا سيدي .. آه !.. إني أحب أمي حبيبة لقد أحبتني بصدق !

أم العروس

رن ذات ليلة هاتف منزل فارس وكان المتصل زوجة فارس الأولى ثريا وطلبت الحديث معه :

نعم يا ثريا هانم .. ماذا جد؟! ألا تريدين حضور حفلة زواج ابنتك ؟ هكذا سمعت من سلوى

فصرخت : أنا أمها آخر من يعلم بمشروع زواجها يا فارس

ـ كان الكلام عن خطبة ثم تحول لزواج ، وأنا قلت لها عندما أذنت لهن بزيارتك آخر مرة أن تخبرك بقصة زواجها في صيف هذا العام .. فذكرت أنك غاضبة ولا ترغبين بحضور هذا الزواج فدهشت .. هي لم تخطب بعد ولم يكتب الكتاب .. وهي تعرفت على شاب في جامعتها وتطور الحال إلى زواج

ـ والعريس كما قالت قريب لك .. وأنا أعرف من هي أم العريس ولم أنس هذا الاسم يا دكتور فارس !

ـ هذا يا سيدتي الذي صار .. هل أقف في طريق سعادتها ؟.. فعليك أن تشاركي في حفل الزواج كأم صالحة

غضبت لغمزه وقالت صارخة : أنا لست أما صالحة يا فارس ! .. فلا داعي لمشاركتي في ذلك مبارك عليك بناتك

ـ على كل حال .. الزواج والخطبة في الصيف .. وبيننا وبين الصيف عدة أشهر .. فراجعي قراراتك .. وأنا لا مانع لديّ من حضورك .. فهي ابنتك كما هي ابنتي .. فلست آخر من يعلم فلم يحصل شيء سوى كلام في كلام .. مع السلامة .



وبينما السيدة ثريا في السوق لشراء هدية خاصة لابنتها التي ستتزوج خلال أسابيع قليلة ، وبينما هي تدخل محلا لبيع الذهب وجدت عشيقها القديم حسونا فقالت متفاجئة : حسون .. أنت هنا ! .. كيف حالك ؟

والتفت إليها وبدا مصدوما وقال : ثريا .. يا أهلا وسهلا

تصافحا بحرارة فهما أصدقاء قدماء وقالت: عشر سنوات لم أرك فيها يا حسون !

تطلع حسون في عيني صاحب المحل وقال : ماذا تريدين من الذهب ؟ سنتكلم في الشارع .

حيت صاحب المتجر وقالت : سأعود .. هيا بنا نشرب قهوة

تبعها حسون إلى مطعم في نفس الشارع ، ولما جلسا على إحدى الموائد قال : ما أخبارك لي زمن أبحث عنك منذ عدت من أوروبا ؟!

قالت ساخرة : آ .. منذ عدت من أوروبا .. ماذا كنت تفعل في أوروبا منذ هربت مني ؟!

فقال متظاهرا بالانكسار والأسف : أنا آسف يا ثريا لم استطع طلاق امرأتي الحامل .. ولما صارحتها بحبنا الذي تعرفينه رفضت الطلاق .. وألزمتني بالهجرة .. وخشيت الفضيحة .. فرتبت لي سفرا لليونان .. أنا ضعيف أمامها

ـ وتركتني اكتوي بنار الوحدة وتخليت عني .. أين تسكن اليوم ؟

ـ أين أسكن ؟!

ـ أريد مقابلة هذه الزوجة التي حرمتني منك

ـ لا يمكن هذا ، أنت تريدين تدمير حياتي الزوجية

ـ ألم تدمر حياتي ؟

ـ برضاك يا ثريا ..أنا أعلنت حبي لك أيام عملنا في البنك .. وأنت وافقت على حبنا .. هل أجبرتك على الزنا ؟ .. أنت رضيت بالزنا عن طيب خاطر وقلت إن فارسا مشغول بجامعته وطالباته .. فلننشغل نحن بالحب والعشق

ـ رضيت لأنني أحببتك بحق يا ملعون ، فتحت لك داري وبعت شرفي من أجلك ، ولما أخذت حريتي هربت .

ـ وأنا ما زلت محبا وعاشقا ومستعدا للزواج منك

ـ لقد تزوجت رجلا كبر أبي بعد هربك يا ملعون .. وذلك بعدما يئست من لقياك ومن وجودك

زفاف سامر وسلوى

كان جابر محسن وابن عمه مازن محمد يجلسان على إحدى الموائد في قاعة أحد الفنادق الفخمة قاعة زينت بالأعلام والرايات والأضواء والألوان ، وذلك في حفل زفاف سامر وسلوى الذي أراد والد سلوى أن يكون في أحد الفنادق الكبيرة ذات النجوم الخمسة ، وكان الحفل يشمل ما يسمى بالبوفيه المفتوح للمدعوين ، ورغم اعتراض الدكتور خالد في أول الأمر واعتبر ذلك خروجا عن المألوف في عائلته ، ثم وافق على ذلك بعدما قبل فارس أن يقاسمه نفقات هذا الحفل ، فلان بعد استسلام فارس للمقاسمة .

فكان جابر يقول : والله دنيا يا مازن !.. ها هو فارس وحبيبة يلتقيان من جديد .. ما أصابنا إلا الغم والهم طول هذه السنوات .. وها هم عادوا أصدقاء وأصهار

وضع مازن كوب العصير الذي كان يشربه وقال : صدقت يا أبا خضر .. خضنا معارك ومهاترات مع المدعو فارس .. وها نحن نحضر عرس ابن حبيبة وابنة فارس .. تصاريف القدر عجيبة .. الحياة مدرسة كما يقولون .. فارس الذي حارب الدنيا ليبتعد عن العائلة يعود إلينا من جديد .. لولا إعجاب أختي بسلوى لفسدت هذا الزواج على فارس اللعين .. لكنّ خالدا ليس من العائلة كما تعلم وخجلت من التدخل في زواج ابنه

ـ علمت أن طليقة فارس حضرت العرس

ـ إنها تجلس هناك مع حبيبة.. لقد ذهب الجمال الذي كانت تتباهى به يا جابر.. لليوم لم نعرف لماذا طلقها فارس ؟ الذي كافح العائلة كلها ليقترن بها ..أنسيت ذلك ؟

قال : تاريخ .. وهل ينسى يا ابن العم ؟! طلاقي لهناء كان من وراء قصص فارس وثريا.. فعلا لم تعد بذاك الجمال والرونق والثياب الباريسية التي عرفناها بها .. فهي امرأة رجل عجوز ورغم بحثي عن سبب الطلاق لم أصل لجواب سوى أن فارسا تعلق بحب جديد من إحدى طالبته وتزوجها سرا ، ولما كشفت ثريا أمر الزواج المخفي عنها طلبت الطلاق ، ورفضت أن تعيش ضرة ، وتخلت عن البنات لفارس .. فوافق على ذلك وطلقها

ـ هل تعلم أن أم خضر موجودة هنا ؟

ـ أعرف وسلمت عليها .. أحضرها خضر معه .. وخديجة أم عصام أتى بها ابنك أيضا .. لا أظن أن أحدا من عائلتنا تخلف عن هذه المناسبة .. فحبيبة سيدة كبيرة في العائلة

قال مازن : لقد اشترى الدكتور خالد غرفة نوم لولده لا مثيل لها في البلد .. مستوردة من أوروبا.. أرأيت البذخ والنفاق ؟!

ضحك جابر ضحكة قصيرة وقال : ابن أختك سيصير طبيبا كأبيه ، وسلوى ستكون طبيبة أيضا مثل أختك .. هل يدوم مثل هذا الزواج في رأيك ؟

ـ أختي مجنونة في سلوى .. وسلوى مجنونة فيها .. تحبها أكثر من أمها ، وتعلن ذلك على الناس وعلمت أنها لا تحسن صنع وغلي أبريق شاي أو صنع صحن سلطة

ـ لماذا ؟

قال :طول عمرها معتمدة على الخدم

ـ صحيح .. وحبيبة عندها خادمة.. الزوجات العاملات يحتجن لخادمات .. أرزاق يا دنيا

قال مازن : كنت أفكر بتزويج باسم من إحدى بنات حبيبة ؛ اليوم أفكر كثيرا ..أنا فارس أبغضه

ـ وما دخل فارس بحبيبة وزواج باسم ببنت حبيبة ؟!

ـ سلوى بنت فارس

قال جابر: يبدو أن فارس اليوم ليس كفارس زمان .. لليوم لم يجد امرأة ترضى به زوجا وقرينا لها .



كان حفل زواج سامر مشهودا وأحدث دويا قويا في عائلة محسن وأقاربه ، وكان ذلك بين حاسد ومحب ، وأنفقت فيه الأموال الكثيرة ، وغادر العروسان الفندق إلى المطار فور انتهاء الحفل للسفر إلى صيف سويسرا ، ثم فينا لقضاء ما يسمى اليوم شهر العسل وإجازة العرس .

وكانت السعادة تغمر العروسين ، وهما يصعدان سلم الطائرة المغادرة بعد حين إلى تلك البلاد وكانت سلوى تهمس لسامر : إنني أسعد إنسانة يا سامر بوجودك معي وبقربي .. لقد أحضرت

ملابس الصلاة معي ، ونفذت تعليماتك كما قلت .. وأخبرتني أمي حبيبة أن الثياب الشرعية الجلابيب داخل إحدى الحقائب

ـ رائع يا سلوى !! لم يبق لك عذر بعد الزواج للسفور وترك الصلاة .

ـ حتى أبي قال لي افعلي كل ما تطلبه منك حبيبة وزوجك سامر .. الصلاة سكينة للمرء في هذه الزمن المليء بالأمراض النفسية

قال سامر متحمسا : أحس أن والدك يريد أن يتوب يا سلوى ولكنه ضعيف ..آه لو قبل بالزواج من ابنة الدكتور حمزة تلك المرأة المطلقة مرتين ستساعده بالخروج من التردد والحيرة التي يحيا بها ..لابد أنك سمعت بحكاية تلك الإنسانة .. فربما عاد لفطرته السليمة .. ها نحن في شهر العسل ومع ذلك نصلي ونفرح ونتمتع بهذه الدنيا وجمالها.. عندما نعود للجامعة يا سلوى ستعودين بثياب طويلة وملابس توافق الشرع

فستكونين حديث الطلبة والزملاء ستتفاجأ صديقاتنا بك أليس كذلك ؟

ـ بالتأكيد يا زوجي الحبيب .. هل أنت سعيد يا سامر بالزواج مني ؟

ـ سعيد جدا ! كنت أظن أن الأمر سيطول حتى نتخرج ونعمل .. لكن أسرنا وقفت معنا .. فنحن عندما نتخرج قد يكون بين أيدينا طفلان

ـ أوه يا سامر أمستعجل على الأولاد ؟!

ـ ولماذا التأخير؟ .. أنا لست من أنصار تأخير الحمل .. المال والبنون زينة الحياة الدنيا .. بل والدك المتعلم عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية والمتفرنس كما يقول همس في أذني أحسن شيء الأولاد في أول الزواج

تبسمت سلوى قائلة : لأنه لما تزوج على أمي زهرة أخر الحمل ، ولما طلقت أمي أرادت الزوجة الحمل ، فوجد أنه لا يستطيع الإنجاب فكان الطلاق .. فهو ملسوع كما يقال

ـ نترك الأمر لصاحب الأمر .. الله وحده هو الوهاب

ـ أنا تحت أمرك .. أنت دنياي يا فارسي الجميل!!

عودة فارس

بعد زواج سلوى وسامر ومغادرتهما البلد لقضاء شهر العسل في ربوع أوروبا أخذ فارس يفكر جديا بالزواج ، فقد أصبح البيت خاويا ، وكان يصاحبه السرور في نهاية الأسبوع عندما تعود حسناء لقضاء يوم العطلة في البيت ، فاتصل بالدكتور خالد موسى وتحدث معه عن تلك المرأة التي ذكرها له منذ أشهر فقال خالد : إنك تشعر بالوحدة بعد سفر سلوى

ـ رغم مكثي في الجامعة كما تخبر ، فقد كانت سلوى مهمة لي في البيت يا دكتور خالد .. لها وحشة

ـ أكيد .. أنا من ذاك اليوم وأنا أبحث لك عن امرأة تناسبك وترضى بالحياة معك .. والإنسان لما يعوز شيئا توصد الأبواب وتقفل أمامه ، وعندما لا يريد الشيء تنهال الفرص عليه ..أنا لم أنساك يا أبا سلوى

ـ أنا أسالك عن تلك المرأة ابنة الدكتور .. نسيت اسمه رغم أنك عرفتني عليه يوم عرس سامر وسلوى

ـ تعني الدكتور حمزة صديقي وجاري في مجمع العيادات ..ولكنني ذكرت لك أن ابنته متدينة وتلبس الزي الشرعي .

فقال فارس ضاحكا: يا سيدي إذا قبلت بي وراقت في عيني .. أتدين مثلها

قال خالد بحماس : آه كلام جميل يا فارس !! تنوي ترك الفرنسة

ـ كبرنا يا خالد.. كبرنا .. وأنا قلت لك لست مدمن خمر أو زير نساء .. إنما لا أرى حرمة الخمر كما يراها المتشددون .. ولا أرى الزنا جريمة كبرى ما دامت بالتراضي دون إكراه واغتصاب .. أقول هذا متأثرا بالحضارة الفرنسية .. أنا منذ بلغت وأنا لا أعرف الصلاة والصوم .. كنت أضحك من أمي عندما تأمرني بالصلاة .. وتحاول تشجيعي على الصيام ..

ـ يا سيدي أنت تعلم أن دين الإسلام رحمة وأخلاق .. رويدا رويدا تعود لحضن الإسلام يا دكتور فارس .. التوبة في الإسلام لا تحتاج لقسيس أو شيخ .. دعنا نتقابل .. ما رأيك أن تتعشى معنا الليلة .. أنا أغلق عيادتي مع صلاة العشاء .. ستفرح حبيبة لذلك .. فقد أوصتها

سلوى وهي تغادر عليك .



نهض الرجلان عن مائدة الطعام وهما يحمدان الله تعالى ، وشكر فارس أم سامر على العشاء الذي قدم لهم ، وانتقلوا لمكتبة ومكتب الدكتور المنزلي ، وأخذ فارس يـتأمل في عناوين الكتب قبل الجلوس ، ثم جلس بعد حين مع حضور الشاي وقال : مكتبة جميلة يا خالد ! .. أنا مكتبتي كلها كتب فرنسية وإنجليزية وبعض معاجم اللغة العربية والموسوعات .. مكتبتك زاخرة بالكثير من التصانيف .. طب فلك دين تاريخ .. لغة ..لا أدري يا خالد لماذا أبغض الدين؟! رغم أن والديّ يصليان ويصومان .. وقد حجا بيت الله في مكة .

رد خالد : لقد كنت متأثرا بالغزو الثقافي الغربي والعالمي .. أثر فيك تخلف أو تأخر المسلمين في الصناعة والتكنولوجيا .. فظننت أن هؤلاء أفضل منا وأحسن منا .. لكن الحياة ليست المادة فحسب .. أشبعت الحاجات المادية حتى التخمة اليوم .. الروح لم تقدم لها حضارة الغرب أي شيء .. وأنت شاب صغير قد جرفك تيار التغريب التيار العلماني الذي عشعش في بلادنا .. وزعمتم أن الدين هو سبب ضعفنا ، وليس مصدر حياتنا وقوتنا .. قستم دين هؤلاء على ديننا وجعلتم كل الأديان في سلة واحدة وهي سبب تخلف الأمم .. ولما يتعمق المرء في ثقافة هؤلاء يجدها ضحلة فارغة رغم تشعباتها ..لا تجد عندهم شيئا جذابا إلا الشهوات .. وهي ذات عمر قصير .. وتصاحبها الآلام والأسقام .. فنحن اليوم نرى أهل الغرب يعتنقون إسلامنا ويقرأون كتب علمائنا .. فبعضهم يسلم مثلنا ، وبعضهم يتوقف حائرا مترددا .. لقد شوه المستعمر والغازي القديم دين ورسالة الإسلام .. وتبعهم بعض المرضى في هذه الفرية والدعاية المغرضة وجعلوه دينا ضد المدنية دينا ضد العلم وضد الحرية .. دين الإرهاب كما نرى ونسمع اليوم .. هناك إعلام وأقلام تشوه الدين في بلاد المسلمين .. ولكن اليوم الحمد لله بدأ الوعي الجماعي للإسلام يظهر من جديد .. ومكتبتي يا دكتور حتى أمرك ..

ـ شكرا ، أريد يا سيدي بهذه المناسبة كتابا أو كتابين يثيران في نفسي حب الإسلام والدين من جديد

ـ سأفعل .. والآن لنتحدث عن الزواج فأنت بحاجة لزوجة تسكن إليها بعد فراغ البيت من سلوى

ـ أتمنى لهما السعادة ، ما أخبارهما في أوروبا ؟

ـ ألم يتحدثوا معك؟ .. لقد تحدثا مرة من سويسرا ومرة من فينا .. اقترب الشهر على الزوال .. الأيام تمشي سريعا ، فكيف إذا كانت أيام أول الزواج ؟!

ـ اسأل الله لهما السلامة يا أبا سامر .. نعم ، تلك المرأة كيف سنقنعها بالقبول بي إذا عدت إلى الله

ـ أنا سأتكلم مع والدها بصراحة عنك .. وأقول لهم إن الرجل وعدني بالتوبة وترك الخمر

ـ الخمر تركها سهل واعتبرني تركتها من هذه اللحظة .. تمر عليّ أسابيع ولا اشرب كأسا منها اشربها عند زيارة الأصدقاء وزملاء العمل في مناسبات معينة ..هي من باب المحاكاة لهؤلاء الأجانب .. بس المشكلة يا صديقي في الصلاة والصوم احتاج لوقت للثبات على فعلها .. خمس صلوات قد تكون ثقيلة عليّ .. لكن صدق أنني عازم على ترك الكفر والعصيان .. وأنا سأعتبرك أخي الفاضل مستشاري الديني حتى ارجع إلى الله حقيقة ..

قال خالد سعيدا : حياك الله يا دكتور.. أنا مسرور من أجلك .. ومن التفكير في العودة إلى الدين سأنقل الصورة التي أنتم عليها للدكتور حمزة صديقنا الفاضل بكل صدق وأشجعه على الترحيب بك .. لا أخفي عنك سرا نحن جسسنا نبضها حولك لكنها قالت إنه لا يصلي .. نفرت من ذلك وقالت لحبيبة الصلاة عمود الدين يا أم سامر نحن حاولنا مساعدتك ، لكن تبين لنا أن المرأة مصرة على الصلاة ، ولا مانع لديها من الزواج منك إذا التزمت بالصلاة ، بل قبلت وعدا منك بالصلاة .. ولكن لمعرفتنا بمبادئك العدائية للتدين .. تجاهلنا الأمر يا دكتور ولأنك صارحتنا بالتغير الذي أنت مقبل عليه صارحناك بما جرى بيننا وبين البنت .. والمرأة كسيرة بسبب فشلها في الزواج مرتين وعدم قدرتها على الحمل ..وبما أن عندك نية للتغير والعودة فسنشجعها على الاقتران بك بعد الالتقاء بعضكم ببعض ..

قال فارس : أشكرك وأشكر حبيبة أو السيدة حبيبة على هذا الاهتمام وعلى الجهود التي تبذلونها من أجلي .. وأنا مسلم لست ملحدا يا خالد .. لكني لا أعرف حقيقة الصلاة والصوم والدين لي عمر بعيد عن ذلك .. فقضية وجود الله لم تشغل بالي ؛ لأنني غير مهتم بالإيمان وعلاقة الإنسان بخالقه .. وحتى الفكر الفرنسي الحديث لا يفكر في هذه القضية كثيرا .. فالله موجود عندهم في الكنيسة .. أما في الشارع في البنك في السوق في الوزارة لا دخل له في ذلك .. وغير موجود .. هذه قضية فردية شخصية .. لا أنكر أنني تأثرت فعلا بالفكر والفلسفة المادية ، ودع ما لقيصر لقيصر .. ولم أحاول معرفة الله وصفاته أو صفات الإله الذي أومن به .. إن كان الإيمان بالله إيمان وجود أنا مؤمن به ربا وخالقا .. ولكن لم اهتم طيلة هذه السنوات كيف يعبد هذا الرب ؟! كيف أتقرب إليه ؟ فكل هذه العبادات غير ذات أهمية في حياتي .. ماذا أكل ؟ ماذا أشرب ؟ هذا حرام .. هذا حلال .. ما دام مسموح به في البلد ولا يخالف القانون فأنا اقبله يا سيدي .. فقضية شرب الخمر مثلا .. لم اسأل هل هو حلال أم حرام ؟ تعاملت معها كأمر اعتيادي .. هناك شباب مسلم يقولون لك الخمر حرام .. ولكننا نحبها نشربها .. كذلك التعامل المال والبنوك .. ولما آكل شيئا أقول الحمد لله .. ليس تدينا إنما شكرا لله .. وعادة .. ويتردد لفظ الله على لساني في محاضراتي وكلامي .. لكن لا التزام عندي نحو قضايا الدين .. فأنا محسوب على أصحاب الفكر الحر أصحاب الحرية غير المتدينين العلمانيين .. مع أنني لا أنتمي لحزب معين إلا عضو في بعض جمعيات فكرية علمية لها علاقات مع مراكز فرنسية لتبادل الثقافة والخبرات .. وصراحة بلادنا كما تعلم لا تحكمها العلمانية بشكل واضح .. ولا الديمقراطيات الغربية .. حكم مختلط .. بين ديني وعلماني ووطني .. هل نستطيع التمييز بصراحة يا دكتور خالد ؟

العروس

كانت حبيبة قد شرحت لنبيلة رغبة ابن عمها بالزواج من امرأة عاقر ، وحدثت الفتاة بأن الرجل ليس متدينا ولا مصليا .. واعتذرت الفتاة عن مثل هذا الزواج .

ولما أحس خالد بعد لقائه الأخير بفارس أن الرجل أخذ يعيد حساباته وتفكيره في العودة مجددا لأحضان الإسلام الذي هجره منذ بلغ البلوغ الشرعي ، وتركه نهائيا مع أول يوم في الجامعة .. ولم يعد يكترث لصلاة ولصوم ولمناسبة دينية .. وصلة رحم وعلاقات عائلية ككثير من الذين تيسرت لهم الدراسة في فترة الخمسينيات والستينيات في الجامعات فاعتبروا التمسك بالدين رجعية وتخلف وانحطاط ، وجعلوا الإسلام سبب ضعف الأمة وهوانها .. لكن في فترة الصحوة الإسلامية .. بدأت المعلومات تتغير .. والعودة إلى الإسلام تتجدد .. والإقبال على العلم الإسلامي والفكر الإسلامي كما يسميه البعض تعود .

تحدث الدكتور خالد بعد لقائه الأخير بفارس مع الدكتور حمزة زميله وصديقه في المهنة وفي المجمع الطبي ، ثم زاره في عيادته ، وجلسا يتحدثان بعد أن طلب الدكتور من سكرتيرة العيادة تأجيل المرضى لبعض الوقت .

شرح خالد القصة لحمزة وعن سبب الزيارة ، فدعاه حمزة لزيارتهم في البيت ، وشرح التطورات الجديدة للبنت لعلها ترحب بها جد وتقبل بهذا الزواج .

وفي الليل كان خالد وحبيبة يطرقان بيت الدكتور حمزة ، وبعد الترحيب والمجاملات التقليدية مشى الدكتوران نحو مكتب ومكتبة الدكتور حمزة ، وكان الدكتور قد ذكر لابنته سبب هذه الزيارة فطلب منها أن تتبعه للمكتب والمكتبة قائلا : تعالي يا نبيلة .. فالأمر يخصك كما وضحت لك قبل ساعة ..

وظلت حبيبة جالسة مع زوجة الدكتور حمزة ، وكان كلامهم في نفس المهمة والغاية من الزيارة تبعتهم السيدة نبيلة بصحون الفاكهة ، ولما جلست حياها الدكتور خالد من جديد وشكرها ثم قال : الموضوع القديم يا أخت نبيلة .. موضوع الدكتور فارس محسن .. والد زوجة ابننا سامر وقد حدثتك حبيبة عنه سابقا .

ردت قائلة : أذكر فعلا ذاك الحديث يا دكتور فارس ..أنا وافقت من حيث الفكرة على الزواج منه ، ولكن لما علمت أنه غير مصل اعتذرت وقلت لأبي ذلك .. لقد تضايقت من فكرة الزواج من رجل غير ملتزم يا عمي .. نحن كما تعلم منذ الصغر نحب الجنة والآخرة ، وأن السعادة الحقيقية في الآخرة وليست في الدنيا

ـ لا خلاف عندنا في ذلك .. لكن علينا أن نعيش دنيانا .. وأنها دار الاختبار .. نحن سلوى ابنة الدكتور أخذناها لا تعرف شيئا من الإسلام والوضوء ؛ ولكنّ سامرا طمأنني أنها من أول ساعة وصلوا فيها سويسرا تغيرت وصلت .. ونحن جهزنا لها الملابس المناسبة .. ولا تخرج إلا وهي تلبس الجلباب .. لديها رغبة عظيمة بالتغير .. مع أنهما في شهر العسل يا دكتور حمزة .. لم تقل لما نرجع لما ينته شهر العسل .. هم وجدوا أنفسهم في بيئة لا تعتبر الدين مهما في حياتهم .. فسوف ترون بفضل الله سلوى أخرى .. للأسف هؤلاء الزاعمون أنهم أحرار ودعاة حرية ما هم بأحرار ، بل أسرى التقليد للثقافة والفكر الغربي .. استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير فيعتقدون أن الانفتاح والسفور هو الحياة هو السعادة .. وهذا وهم صاحب استسلامنا للفكر الغاصب .. فسلوى لم تر والدها في يوم من الأيام يسجد لله أو يضع سجادة صلاة ليصلي .. وأمها مثل أبيها .. مسلمون بلا دين وهوية .. ففارس ابن الجيل الذي استقبل الحضارة الغربية بخضوع وانبهار وابن الغرب والغزو الثقافي الغربي .. والذي انغرس فيه أعطاه لذريته .. لكن مع الصحوة وظهور الإسلام بدأت الكهول تعود لدين الله الحق .. فسلوى صبرنا على تركها أمور دينها حتى ترحل إلينا .. ومن أسباب تعجيلي لزواج سامر منها لنقلها لأسرتنا .. نحن نرى أن بيئتنا أصلح من بيئتهم يا دكتور حمزة

ـ أكيد يا خالد .. فحديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل الذي قتل مائة نفس وقد التقى بالعالم الصالح فحثه على الانتقال إلى القرية الصالحة ليستطيع الثبات على توبته

ـ أحسنت يا دكتور حمزة ..البيئة لها دور مهم في تنشئة الإنسان

أثنى الدكتور حمزة على أفكار صديقه خالد ورغبته في إنقاذ الفتاة من الضياع ، ثم قال خالد : والدكتور فارس لمست أن لديه رغبة بالعودة لحياة الإسلام والدين من جديد .. فهو بحاجة

لمنقذ وشريك مساعد فأرى أن السيدة الفاضلة نبيلة تستطيع القيام بهذا العمل لوجه الله ..

وحدثهم عن فارس وسيرة حياته التي يعرف أهمها ثم ختم قائلا : حدثتكم عنه بتفصيل واضح وهو رجل لم يمارس الفجور والزنا .. ولو أراد ذلك فأماكن الفجور موجودة .. هو رجل هوي الغرب وأفكاره وفلسفته ؛ ولكنه منذ تعرفه بسامر أخذ يعيد ترتيب نفسه من جديد .. فأنا عرضت قصتي أمامكم حتى تكوني على بينة وصورة واضحة عن صهرنا .. وأنا حقيقة عندي أمل كبير أن يعود فارس للإسلام الذي عاداه أو تجاهله كل تلك السنوات المديدة، وقد أقر لي أن حياة العلمانية والعلمانيين فراغ ولهو وشهوات ، ووعدني بالصلاة .. لكنه قد يضعف عن بعضها لطول هجره لها .. ومع التشجيع والتذكير قد يثبت ، فهو قال ذلك قد أضعف فاحتاج إلى تشجيع .. فهذه مهمتك يا أخت نبيلة واستعيني بالله .. واستخيري الله ..ما رأيك يا دكتور حمزة ؟

بعد صمت قليل قال حمزة : هي مغامرة عظيمة يا نبيلة !.. وإذا لم تنجحي بمساعدته تستطيعين تركه وطلب الطلاق ، وسنصارحه بهذا صراحة ، وإذا نجحت كان نجاحك عظيما ولك أجر كبير ـ إن شاء الله تعالى ـ وأنا مثل خالد صار لديّ إحساس بأن الرجل راغب بك بعد كل هذه الشهور من الانتظار ، فهو يبحث عن امرأة متدينة تقبل به ليتغير.. وما دام الرجل يرفض الفجور والعشيقات ويرغب بالزواج فهذا يدل على نية صالحة .. وهو راغب بالعودة لحياة السكينة والبيت الدافئ .. لندعها تفكر بكل راحة يا دكتور خالد قبل أن ندعو الدكتور فارسا لشرب الشاي والقهوة

رد خالد متحمسا : أجل أجل أيها الصديق العزيز .. الحياة الزوجية جميلة يا نبيلة رغم ما فيها من بعض المنغصات .. والدكتور فارس ليس كبيرا في السن لم يبلغ الخمسين حسب علمي هو من جيلي تقريبا

فهزت الفتاة رأسها وقالت : سأفكر .. صباح الغد بإذن الله سبحانه سيكون الرد عند أبي .

الصلاة

رجع العروسان من شهر العسل بسلام وحفظ من الرحمن ، وكان وصولهما لبيت خالد الذي كان في استقبالهما وهو عائلته ، وتناولوا الغداء على مائدته ، ثم أخذت اتصالات الأقارب تتالى على البيت ، واتصلت سلوى بوالدها مخبرة له بعودتها ، وأنها مشتاقة لرؤيته وستزوره ليلا ، وهو قد عبر لها عن شوقه وسعادته بسعادتها وهو بشوق لرؤيتها وسماعها وأنه سيكون في انتظارهما .

أخذ سامر سيارة والده لهذه الزيارة ، ولما طرقا الباب فتحت لهما الخادمة التي رحبت بهما ، وباركت لهما زواجهما ، ودعت لهما بالحياة السعيدة ، ولما أصبحت سلوى داخل البيت قالت بصوت عال ومرح : أين أبي ؟

فردت الخادمة : إنه يصلي .. سيأتي بعد قليل .

هتف سامر دهشة : ماذا قلتي يا ..

ابتسمت الخادمة لدهشتهم وأدركت أنهم لا يعرفون أن السيد أصبح مصليا وقالت : نعم هو يصلي العشاء ..

قالت سلوى وهي تنظر في عيني سامر دهشة : أبي يصلي العشاء !.. ما أحلاك يا أبي ! .. الحمد لله .. أنت مبارك يا سامر !

بعد قليل جاء فارس باسما واحتضن سلوى وقبلها وقال : ما أجملك يا سلوى ؟ أنت جميلة وثيابك زادتك جمالا ؟ مرحبا بك يا حبيبتي .. وقرة عيني .. لقد ازددت حسنا .

ثم تركها واحتضن سامرا قائلا : أهلا بولدي وصديقي الحمد لله على السلامة .. إنكم رائعون وفي غاية الصحة والعافية .. ما شاء الله .. ما شاء الله !

ولم ترك سامرا قال مداعبا : أنا خشيت أن تعودوا مكشرين ومتنكدين .. مرحبا بكم .. السعادة تفوح من حناياكم .

ـ شكرا يا عم ، بل السعادة غمرتنا أكثر لما علمنا من الخادمة أنك تصلي .. الحمد لله على هذه النعم

قالت سلوى بفرح طاغ : أبي عندما دخلنا وسألنا عنك أخبرتنا ... أنك تصلي .. تفاجئنا ؛ ولكنها مفاجأة طيبة يا أبي .. لذيذة الصلاة يا أبي ..

قال فارس باسما : يبدو أن حبيبة لم تحدثكم عن توبتي .. أنا أشكرك جدا يا سامر .. لم أكن أتخيل أن سلوى ستكون جميلة للغاية بهذه الثياب

تبسم سامر وقال منشدا : عين الرضا عن كل عيب كليلة وعين السخط تبد لك المساويا

ـ جميل هذا الشعر ..!!

ـ لم يكن أمامنا وقت يا عم لسماع هذه الأخبار الطيبة .. العمات والخالات .. التلفونات لم تنقطع للتهنئة .. ولا تنس أنني أول من يتزوج من أبناء الدكتور خالد وحبيبة.. أنت يعني حقيقة تصلي وتعود للإسلام .. آه ما أحلى الإسلام مع العلم يا عماه !

ـ صدقت يا سامر .. سلوى كيف أنت وهذا الذي تلبسينه ؟

احتضنت أباها ثانية وقبلته من جبينه وقالت : كم أحبك يا أبي !.. سامر رجل عظيم! .. وأمي حبيبة سيدة فاضلة ..إني سعيد بك يا أبي .. وحكاية زواجك صحيحة

ـ أجل يا سلوى سأتزوج امرأة متدينة .. تريد شيخا فهداني الله ، وسأحاول أن أكون شيخا بحق

قال سامر : رائع يا عماه !.. ألف مبارك يا سيدي .. هذا البيت الواسع يحتاج لزوجة تسكن إليها أليس كذلك يا سلوى؟

فردت وهي تترك عنق والدها : طبعا ، نعم ، إن أبي يستحق زوجة صالحة بعد كل سنوات العزوبية التي انقضت .. مبارك يا أبي

ـ شكرا يا سلوى أنا سعيد بكم يا أولاد .. عدتم بكل سعادة وحب

فقال سامر : الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات .. سلوى فتاة ناضجة ، وتعرف حقوق الزوج .. وتحب الطاعة وتكره المشاكسة

قال فارس معترفا : أنا أشكرك يا سامر .. لقد كنت قلقا بل خائفا على سلوى لما انتقلت من المدرسة الداخلية للجامعة .. كنت خائفا جدا عليها ، وإن كظمت هذا الخوف ، ورغم تحرري وزعمي أنني متحرر من الدين والعادات والسمعة .. كنت أخشى أن تصطدم بشلة شباب لا

أخلاق لهم ، ولا هم لهم إلا العبث بالفتيات وخداعهنّ وافتراسهنّ .. كما نسمع ونقرأ .. وتستهوي حبيبتي سلوى حياة الانفلات .. فسوف أقف حقيقة عاجزا عن منعها يا سامر ..لأن ذلك سيكون باسم الحرية .. ونحن في بلادنا مهما حاولنا التحلل من القيم .. تبقى قضية الزواج قضية في غاية الأهمية .. لا تستطيع الفتاة أن تعيش في مجتمعاتنا دون زواج وأهل كما يكون الحال في أوروبا والغرب .. هناك لو قضت العمر كله بدون زوج وأهل لا أحد يهتم ويكترث .. والشرقي يصعب عليه الزواج من فتاة كانت تمارس الجنس مع عدد من العشاق .. فهم عندنا في أول زواج لهم يرفضون الزواج من مطلقة أو أرملة .. فكيف بزانية ؟!



قتل

رفع فارس سماعة الهاتف ليرد فسمع صوتا يعرفه قديما أنه صوت حمدي شقيق زوجته الأولى وخال بناته : آ .. يا سيد حمدي مرحبا بك .. تريد لقائي .. أنا في البيت .. أنا في انتظارك .

نظر إلى ساعته فهي السادسة مساء فقال : ماذا يريد حمدي؟ لقد شاهدته في عرس سلوى .. هل يفكر بزيارتها ؟ ويريد أن يصحبني معه .. ثريا .. هل ثريا معه راغبة بزيارة ابنتها بعد عودتها من شهر العسل؟ .. لم يطلب مني لبس ثيابي .. ماذا يريد حمدي نسيبي القديم .. خال البنات ؟

●

كان وجه حمدي كئيبا حزينا عندما التقيا فاستقبله قلقا متوجسا وقال : حمدي !.. أراك ممتقع الوجه ؟!

ـ صدقت يا فارس .. لقد حدثت جريمة اليوم صباحا .

انقبض قلب فارس سريعا ووضع يده على صدره حيث القلب وقال : جريمة ؟!

ـ نعم ، لابد أن تعرف بها يا فارس .. لأنك والد البنات .. أكيد عادت سلوى من شهر العسل

ـ لها أسبوع أو عشرة أيام .. ثريا .. ما الجريمة ؟! وما دخل البنات ؟

ـ ثريا قتلت اليوم قبل الظهر

قال رعبا واستغرابا : يا الهي !!.. قتلت ؟! ومن قتلها ؟! ولماذا قتلت ؟!

ـ قتلها زوجها .. وقتل معها عشيقها .. حسون الذي تعرفه .

ـ أنا أعرفه!

ـ لا تجعل نفسك جاهلا يا فارس .. أنا أعلم لماذا طلقت ثريا؟ .. أنا الذي كتبت لك تلك الرسالة ؛ لأنني لم استطع فعل شيء .. حسون موظف البنك الذي تحدثت عنه الخادمة قديما .. أنا جئت إليها باكرا فوجدته في بيتك .. فكتبت لك تلك الرسالة .. لتعرف رغم أنها شقيقتي ؛ ولكني أكره وأبغض الزنا والخيانة .. لا أرضاهما لأحد .. وها هي أعادت الكرة مع زوجها الجديد العجوز .. صديق أبي الذي رضي بها بعد ترمله ومن أجل صداقته لأبي .. فلما اكتشف خيانتها أطلق عليها النار وعلى عشيقها النذل .. ومات على الفور .. وهي ماتت بعد وصولها

المستشفى بقليل .. فجئت إليك لنحسن التصرف من أجل بناتك يا فارس .. لا أحد يعلم بعهرها القديم سوانا ..أما اليوم فكل أسرة زوجها يعرفون .. فعلينا أن لا نتحدث عن ذاك الماضي .. على الماضي أن يبقى في صدورنا يا فارس .. ليبقى سبب طلاق أمهن زواجك سرا أتسمع ؟!

ـ إني أسمع يا حمدي .. أنا أقدر موقفك ونبلك القديم والجديد

ـ إذن اخبر بناتك بمقتل أمهن في ظرف مريب .. إنه خزي يا فارس ؛ ولكن علينا التصرف .

بعد تسلمهم الجثة من الشرطة والطب الشرعي جرت مراسم الدفن للسيدة ثريا حسب تعاليم الشريعة الإسلامية ، وأقيم بيت عزائها في منزل والدها ، ولاكت الألسن قصة مقتلها وخيانتها لزوجها الشيخ الكبير الذي ألقي به في السجن ليقدم للمحكمة .

وكان سامر يخفف من آلام الجرح الدامي والنفسي الذي أصاب سلوى من فعلة أمها البشعة فكانت تقول له : ألم أقل لك إني لا أحبها ؟! .. أرأيت ماذا فعلت بالشيخ المسكين؟! جعلت بيته وكرا للفسق والفجور! لماذا قبلت به ما دام كان رجلا كبيرا ؟

ـ يا سلوى هي أمك .. أمرها عند خالقها

فصاحت بحرقة وغل : فظيع ! فظيع الذي فعلته ! كان عليها أن تطلب الطلاق وتتزوج من ذلك العاشق الدنيء ! الخيانة قذرة .. مؤلمة يا سامر

ـ لقد ضعفت أمام الشهوات .. نسأل الله لها الرحمة .. اعلم قسوة الخبر عليك .. ولكن ليس للإنسان إلا ما سعى .. ضلت الطريق .. هدئي من نفسك .. وكما قال والدك لك نحن من سنوات انتهينا من ثريا .. كان عليها أن تحافظ على شرفها وشرف عائلتها

فقالت بأسى : لقد تمزقت قلوبنا من هذه الفضيحة .

كان جابر يحدث مازنا شامتا : أسمعت يا ابن العم قصة مطلقة فارس؟! لقد قتلها زوجها العجوز بعدما ضبطها مع عشيقها في غرفة نومه .. قتل الرجل والمرأة .. ما أفجرها ! أتزني ببيت زوجها وعلى فراشه ؟!

فقال مازن : لقد عرفت التفاصيل الدقيقة .. قريب لزوجها المسكين زبون عندنا .. حدثني بالمأساة .

ـ هات ما عندك يا بطل ؟

ـ القصة يا سيدي .. أنها بعد طلاقها من أخيك ظلت بدون زواج .. ولما ترمل صاحب أبيها قريب زبوننا .. طلبها من أبيها فوافق ، ثم قبلت هي بالزوج الكبير وهو رجل غني صاحب ثروة وعمارات .. وسكنت مكان المرأة الميتة بعد أن أثثت من جديد .. ومنذ أشهر قليلة أخذ يتردد عليها رجل في البيت زاعمة لنساء أولاد الرجل الذين يسكن بعضهم في شقق العمارة أنه قريب لها .. فتحدث الأولاد لأبيهم عن زائر زوجته بعد حين ، فنفى معرفته بشيء وطلب منهم كتمان الأمر .. وقال هناك خيانة .. إني بعد الإفطار لي فترة أو بعض الأيام أشرب قهوة وأنام على غير ما تعودت .. طلب منهم الصمت ليتحقق من الأمر .. فقد أدرك أن زوجته تخونه ، وتضع له المنوم في يوم زيارة عشيقها لها .. ففي ذلك الصباح .. تظاهر أنه شرب القهوة ثم استلقى على الأريكة ونام .. وفعلا لم يمض وقت حتى زلف العشيق وذهبا لغرفة النوم وأغلقت الباب مع أنه لا يوجد معهم أحد في البيت من أطفال أو خدم .. فقام الرجل الشيخ المتناوم ، وكان قد أعد مسدسا خاصا به .. وكان لديه مفتاح الغرفة الثاني .. وفتح عليهما الباب بسرعة ولما رأى المشهد أطلق عليهما النار .. فقتل الرجل الفاجر على الفور .. والمرأة لفظت أنفاسها في المستشفى .. طبعا جاء رجال الأمن والإسعاف .. ووجدوا حبوب المنوم في الشقة .. فهذه قصة مقتل زوجة شقيقك القديمة .

ـ لا حول ولا قوة بالله .. آه .. مكر النساء .. عندما تفجر المرأة لا يردها شيء ، لا شرف ولا زوج ولا أبناء

ـ قل الحمد لله أنها فعلت فعلتها بعد طلاقها من فارس بعد عشر سنوات .. لو تورط معها لقضى وراء القضبان باقي عمره .

وقال جابر بعد تفكير : لقد حدث شوشرة قديما نحو هذه الموضوع بعد ولادة سلوى زوجة ابن أختك .. ثم توقف القيل والقال واستمر الزواج .. أترى أن فارسا طلقها بسبب عهرها ؟

ـ ولكنه كان متزوجا سرا عندما طلقها ، كان له زوجة سرية من سنوات يا جابر .. لا أعتقد أن أخاك وجد عندها رجلا .. ففارس كان تلك الأيام أكثر وقته في الجامعة .. فكيف سيكتشف خيانتها ؟ .. وأنا تأكدت أن سبب طلاقه أنها عرفت بزواجه عليها ، فخيرته بينها وبين زهرة لأنه كان يريد إشهار زواجه .. وها هو اليوم يستعد للزواج مرة ثالثة .

قال : فارس ؟!

ـ نعم ، ربما لولا هذه المأساة لتزوج.. ألا تدري أن أخاك صار مصليا ويرتاد المساجد ؟

صاح جابر استغرابا : فارس ! قال : آ ، فارس

قال متشككا : يا رجل فارس كان كافرا .. كان إبليس .. كان دائما يستهزأ بالصلاة والوضوء والاغتسال .. ولما يدخل البيت ويجد أمه تصلي يشوش عليها ويسخر منها

ـ كان يا ما كان .. سيتزوج ابنة الدكتور حمزة صديق الحاج خالد .. الدكتور خالد زوج حبيبة والعروس شيخة ؛ ولكنها لم توفق بزواجين سابقين بسبب عدم قدرتها على الإنجاب .. علمت كل هذا من أم سامر.. عندما ذهبنا لنبارك للعروسين بعد عودتهما من شهر العسل .. أو شهر النحل ..

ـ والله مساكين بنات أخي بعد هذه الفضيحة المدوية .. قُول سلوى نفقت وجبرها ابن أختك أما حسناء المسكينة من سيغامر ويتزوجها بعد فضيحة أمها

ـ ستجد صاحب النصيب .. ليست أول امرأة تفجر في التاريخ يا جابر .. الزنا معروف منذ أوائل التاريخ .. الناس تنسى مع الوقت .. وقد يأخذها أحد أبناء حبيبة .. سمعت مثل هذا الكلام .. وهي صغيرة بعد لم تتخرج من المدرسة الداخلية ، وعندما تصبح طبيبة أو صيدلانية ستجد عشرات العرسان ، بنات فارس عشن مع أبيهن أو تحت رعايته منذ انفصلت أمهن عن أبيهن، وهن هادئات بطبعهن ، سلوى لا تتكلم مع أحد إلا إذا وجه الحديث إليها مباشرة .. وكلامها مختصر ، لقد صدف أن خاطبتها في بيت حبيبة .. لا تحب الثرثرة كأبيها

ـ صدقت يا مازن بكل تكلمت به .. أصبحت خبيرا يا مازن في أمور البشر

رد متهكما : شبنا يا جابر .. شيبتني النساء .. زواج طلاق .. لم أعد أعرف الأولاد أبناء من

منهنّ

ضحك جابر ضحكا عاليا وقال : معنى ذلك أنك خرفت

ـ خرفت !! يا أبا خضر ألم تجد إلا هذا الوصف ؟! أنا اعتبرك أكثر أبناء العائلة معرفة بي .

ـ وأنا أكثرهم فهما لك يا ابن عمي .



حادثة موت ثريا لم تؤثر كثيرا على فارس ؛ لأنه حذفها من حياته منذ طلقها ، وأراد من بناته عدم الاهتمام بسيرتها وقصتها ، ونحن نعلم برودة العلاقة بين الأم وبناتها ، من يوم أن حصل الانفصال لم تحاول المرأة التمسك بالبنات ، وخاصة حسناء الصغيرة التي كانت بنت أربع سنوات أو خمس ، فنسيت سريعا قبل انقضاء شهر على وفاتها .

وبعد حين يسير عاد الحديث عن زواج فارس ونبيلة التي وافقت على الاقتران به بعد أن وعدها بالبقاء على التوبة ، وأن تستمر في عبادتها ولبس ملابسها الشرعية ، وكان قد أخذ بممارسة الصلاة قبل قبولها ورضاها .

واستقبل السيد حمزة وعائلته الدكتور خالدا وزوجته وفارسا ، ودارت بينهم جلسة تعارف معمقة وفي نهاية الجلسة قال فارس : أنا كشفت لكم أوراقي .. ولا تعتقدوا أن سبب توبتي الزواج من الفاضلة نبيلة .. أنا تبت إلى الله لأنني بحاجة للتوبة .. من يوم أن التقيت بسامر ابن الدكتور خالد فقد أخذت أفكر بالإسلام وتقاليد الإسلام .. وجاء الحديث عن السيدة الفاضلة نبيلة دفعا قويا لعدم التردد واتخاذ القرار الحاسم والقضاء على التسويف .. ففكروا وردوا بنعم أو لا

وأكد الدكتور خالد على أن الدكتور فارسا ترك الخمر منذ عهد قريب .. وأنه يمارس الصلاة حقيقة ، وهو يعود للإسلام شيئا فشيئا .

زارت نبيلة حبيبة وطلبت منها أن تسمح لها بمقابلة سلوى ، وبعد تعارف قالت نبيلة : يا سلوى

أنت طيبة ورقيقة .. أريد أن أسالك عن أبيك واصدقينني النصيحة

ـ أنا تطلبين مني النصيحة ؟!

قالت مشجعة : أنت أعرف الناس بأبيك .. هل يمكن أن تستمر الحياة الزوجية مع والدك ؟

ـ أبي تزوج مرتين ، ولم تستمر الحياة الزوجية في كلتا الزيجتين ، قضى مع أمي بضع سنوات وكذلك مع زهرة .. ولكل زيجة ظروفها وأحوالها .. وهو يبحث عن حياة مستقرة ، وقد كبر أبي يا سيدة نبيلة .. ومنذ وعيت لم أسمع أو أرى أنه اتخذ عشيقة أو خليلة .. واليوم أبي يتغير خاصة بعد زواجي من سامر .. وتبقى الحياة الزوجية نجاحها أو فشلها بيد الله

ـ الصلاة والعبادة هل هو جاد فيها ؟

قالت : أتوقع أنه جاد يا أخت نبيلة .. لا أعتقد أنه يمثل وينافق ليتزوج منك .. فلو لم يجد ويلمس فيك أشياء هو بحاجة إليها لما تزوج وأصر عليك .. وهو ترك زهرة زوجته الثانية لأنها هي التي تريد ذلك .. تريد خلفة وهو ضعيف من هذه الناحية .. الإنجاب سبب الانفصال الثاني .. فحيواناته المنوية ضعيفة .. وحاول الزواج خلال هذه السنوات وبسبب هذا الموضوع وهو الحمل يرفضن ويصرفن نظر .. وكنا يوما في زيارة دار عمي خالد فحدثه بحاجته لامرأة تقبل به وليس لديها رغبة بالحمل أو تحمل أصلا .. فخطرت على بال الدكتور وزوجته .. ولما علم تدينك لم يرفض ؛ ولكنه تردد وفكر هل يستطيع التوبة والثبات عليها ؟ فكأنه تأثر بعمي خالد واتخذه صديقا ومستشارا

ـ أشكرك جدا يا سلوى .. نعم الصديقة أنت.. الله يستر عليك دنيا وآخرة .. الفشل في زواج ثالث سيحطمني يا سلوى .. وأنا رضيت بقسمة الله بعدم الذرية .. والأمر لله وحده

ـ الطب يا نبيلة يتقدم لا يأس مع الحياة .

استقبلت أسرة خالد السيد فارسا وابنته حسناء التي أصرت على زيارة سلوى لتزورا السيدة نبيلة حمزة عندما سمعت والدها يقول إن الأمور في نهايتها

وبعد حين يسير قامت حبيبة بأخذ سلوى وحسناء لزيارة نبيلة بعدما اتصلت بها بالتلفون ، فرحبت بتلك الزيارة ، ولما غادروا البيت قال فارس : حسناء رغم حياتها في مدرسة خاصة

داخلية كما تعلمون قلقة من زواجي .. لا أدري لماذا ؟ بعكس سلوى التي كانت فرحة وسعيدة كأنها هي التي ستتزوج أعندك تفسير يا دكتور ؟

تبسم خالد وقال : هذا سؤال يوجه لطبيب نفسي .. على كل حال هو قلق من المجهول رغم بعدها عنك ، ولا تلتقي بك إلا نهاية الأسبوع والعطل الرسمية .. فهم كما تعلم بعد طلاق أمهم تعلقوا بك لأنك صرت الأم والأب بالنسبة لهم .. ولأن زوجتك زهرة كانت عدوة لهن كما فهمت منك .. فهي قلقة خائفة أن تحرمها الزوجة الجديدة من حنانك وعطفك نحوها .. فهي قد اعتادت أن تقضي إجازتها معك وحدك .. فالآن ستجد شريكا لها .. والسيدة نبيلة سيدة فاضلة لأنها من بيت أصيل يا فارس .. ونحن أصدقاء ونعرف أسرار بعض .. فلن تكون عدوة لحسناء وتمثل الدور السيئ لزوجة الأب .. ولا تنسى أن نبيلة حرمت من الأمومة فسترى حسناء كابنة لها وتفرغ عاطفتها نحوها .. والسيدة امرأة تضع مخافة الله بين عينيها يا فارس .

ـ طمأنتني يا دكتور .. أنتما تعلمان الباطن في نفس حسناء ، إنها لتخزن مأساة أمها ومقتلها وخيانتها للرجل الذي رضي بها زوجة .. وهي تقول إنها تعاني من همسات التلميذات وجلست أكثر من مرة عند الطبيبة النفسية في المدرسة .. وتحدثت مع تلك الطبيبة وطمأنتني أيضا على مشاعر الفتاة وتحملها للصدمة والمأساة ، ولم تؤثر على مستواها الدراسي والتعليمي .

قال سامر الصامت لهذه الجلسة معلقا : طيب هذا يا دكتور فارس .. الحمد لله .

فقال خالد : الحمد لله .. ما آخر أخبارك مع الإسلام ؟

قال : الحمد لله يا دكتور خالد .. الكتب التي تدفعها لي كتب عظيمة ، وبذل مؤلفوها جهودا جبارة وعظيمة لبيان محاسن الدين الإسلامي .. محاسن العقيدة .. محاسن الشريعة .. معاملات أخلاق .. معلومات كنت افتقدها يا خالد .. فرأيت من المؤسف تشبيه الدين الإسلامي بالدين اليهودي والنصراني .. والأديان الأخرى .. لا مجال للمقارنة بينهما .. شكل العبادة عندهم لا يشبه شكل العبادة عندنا .. هناك آثار مجهولة كثيرة في تفاصيل تلك الديانات .. الاغتسال من الجنابة صفة الوضوء .. إنهم يصلون بغير وضوء .. صلاتهم لا ركوع فيها ولا سجود .. أنصبة الزكاة .. صفة صيامهم .. كيف يوحدون الله ؟!

أخذ نفسا وشرب ما قدمته الخادمة وعاد يقول : دين الإسلام يتحدث يا خالد .. في تفاصيل عجيبة .. لم أكن أفكر أن دينا يهتم بها .. دينا يبحث بها .. مثل آداب قضاء الحاجة .. عند الأديان الأخرى عادات .. في الإسلام عبادات .. تدخل بالقدم اليسرى للمرحاض .. تذكر اسم الله وتتعوذ من الشياطين .. كيف تخلع ثيابك ؟ .. تنظف نفسك بالورق والماء .. تخرج باليمين تدعو .. شيء عجيب هذا فعلا يا سيدي .. حتى الجهة التي تجلس فيها لقضاء الحاجة تحدث عنها النبي صلى الله عليه وسلم

قال سامر : جميل يا عمي ! إنك تقرأ بقلب متفتح للإسلام

ـ شكرا يا سامر .. آداب الجماع والمعاشرة الزوجية .. يتحدث عنها الإسلام قبل أن نسمع اليوم عن الحياة الجنسية والثقافة الجنسية والتربية الجنسية .. الذكر عند الجماع ..الاغتسال بعد الجماع الوضوء لتكرار الجماع .. المداعبة وغيرها أشياء يتحدث عنها الشرع .. ونحن كنا نستحي الحديث عنها يا خالد .. عمري ما اغتسلت بسبب الجماع أنا وثريا وحتى زهرة .. ننظف المكان وانتهى الموضوع ..الإسلام يا عالم يتحدث عن سنن الفطرة .. كتنظيف العانة وشعر الإبط .. وقص الشارب والظفر .. هذه قوانين التربية .. أنا عمري ما تأملت في هذه الآداب والسنن .. كان الغرب مهوى قلبي وحياتي .. النوم يتدخل فيه الإسلام .. على المرء أن يبدأ نومه على جنبه الأيمن ويضع يده على خده الأيمن .. ويقرأ الذكر المختار وبعض التعاويذ .. سورة الفلق سورة الناس .. حقيقة أنني دهش لعظمة هذا الدين .

قال خالد مبهورا : إنك تقرأ قراءة جادة وعميقة !

ـ شكرا يا سيدي .. أنا مغرم بالقراءة ، آلاف الكتب الفرنسية والإنجليزية قرأتها بلغة أهلها .. ويستهويني الفكر العميق والبعد عن السطحية .. أنا لا أدري لماذا لم أكن أقرأ كتب العلماء الأفذاذ من المسلمين ؟ .. لمَ غرس فينا كره الإسلام ؟! وإن الأديان سبب تعاسة العالم وسبب الحروب .. نفرنا من قراءة مثل هذه الكتب التي تتحفني بها .. اختياراتك واعية .. وموصلة للرسالة يا سيد خالد .. الدين يهتم بالقلب .. هذه العضلة التي تدير هذا البدن .. وهي في غاية الأهمية من الناحية الروحية .. كالإيمان يجب أن يستقر في القلب وأن يكون مخلصا لله وأنه أسس

العمل وقاعدته المتينة .. عمل بدون إخلاص لله يكون عملا فاشلا باطلا .. صوم بلا إخلاص مجرد ترك طعام وشراب كما تفعل الدواب في سباتها الشتوي .. كالدب القطبي مثلا .. لو اغتسلت مائة مرة ولم تقدر النية في القلب ستبقى جنبا وكأنك لم تغتسل .. ليست قضية انغماس بالماء فحسب .. يجب أن تصحبه نية صادقة متعبدة .. القلب شيء مثير .. يا خالد .. الإسلام ينصحك يرشدك أن تشرب جالسا أن تبول جالسا ، ولكنه لا يمنعك من الشرب قائما .. لا يمنعك من البول قائما .. لكننا نكون قد تركنا الأحسن .. قد يبدو هذا غير معلل وغير واضح ولكنه من الوحي ..

ـ إني أزداد إعجابا بك يا فارس

ـ هذا تعلمته من كتبك العظيمة .. وأنا أعجب من كاتبي هذه الكتب الرصينة المتعوب عليها من قبلهم .. فنحن من نزعم أننا أهل فكر ترتاح قلوبنا للفكر العميق .. وهناك بعض الناس أو جلهم يحتاج لكتب مبسطة وأسهل من التي أعرتني إياها .. حتى أنا من حماسي أخذت أقرأ بعض الكتب الفرنسية والإنجليزية التي تتحدث عن المسلمين وبلاد المسلمين ..

وبينما هم مستغرقون في تذوق الإسلام ومحاسنه ، وقد شربوا الشاي والقهوة وطعموا بعض الفاكهة عادت النسوة من زيارتهن لنبيلة وطرقت حسناء الباب ودخلت تصيح : بابا بابا وألقت نفسها عليه معانقة له ، ثم التفتت لهم قائلة : آسف يا عم خالد .. آسفة يا سامر ..

قال خالد : أنت في بيتك يا حسناء نحن أهل ..آ .. أرأيت السيدة الفاضلة نبيلة ؟

قبلت وجه أبيها وقالت : إنها رائعة يا أبي! .. لقد أحبتني من أول لقاء يا أبي .. اسأل سلوى احتضنتني وقالت أنت حسناء أخت سلوى .. ما شاء الله .. أنت طيبة ورقيقة مثل سلوى أم مشاكسة ؟.. وبعد كلام قالت أنا لم أوافق بعد يا حسناء .. أبوك ترك لي حرية التفكير وعدم العجلة .. وأنا بعد حديثي مع سلوى العزيزة عن والدك ـ نظر الأب إلى سلوى التي ابتسمت له ـ أصبح القبول عندي تسعين بالمائة .. وأنت رأيك إيه ؟

فقال فارس : فعلا أنت رأيك إيه ؟ أنا لم أسمع رأيك بهذا العمل الضخم الزواج من جديد .

فقالت حسناء وهي ما زالت تطوق عنق أبيها قلت لها : أنا أحبك يا سيدة نبيلة .. ولازم

تتزوجين أبي .. أبي مسكين .. وحيد في البيت .. عاوز امرأة طيبة مثلك

ذرفت دموع فارس تأثرا فدفع إليه خالد منديلا ورقيا وقال : رائع جدا يا حسناء ! أنت مائة في المائة تحبين والدك وسعادته .. فنحن الرجال مساكين .. لا نستطيع العيش بدون زوجات ربما النساء يصبرن أكثر عن بعد الرجال .. فأنا ألاحظ أن الرجال إذا ترملوا أو طلقوا يسرعون في البحث عن الشريك المناسب .. أما النساء الكبيرات فوق الخمسين يعزفن عن الزواج من جديد .. ربما تكون خاصية فسيولوجية يا فارس

ـ أنا دكتور لغة .. أنا أحبك يا حسناء يا أميرة .. اجلسي دعي عنقي ..أنا ليس لي في هذه الدنيا سوى أنت وسلوى أمنا الصغيرة ..



زواج فارس

لقد قضي الأمر الذي فيه تستفتيان .. وافقت السيدة نبيلة على الاقتران من حضرة الدكتور فارس بعد تردد وخوف لازماها عددا من الأسابيع .. واحتفل القوم بزواجهما .. هو طلق مرتين وهي طلقت مرتين .. واستقرت الزوجة الجديدة في فيلا فارس المستأجرة ، وعادت الحياة الأسرية الدافئة لفارس بعد سنوات من العزوبية والجفاف الأسري .. ووجد الرجل المرأة إنسانة فاضلة وثقافتها الدينية راقية ، وأنها سيدة محترمة ، وأنها تسعى لإسعاده فعلا وحقيقة .. وكانت تتلقى حسناء في إجازاتها كأنها ابنة حقيقية لها .. وكان الرجل يبكي عندما تخلو به حسناء وتحدثه عن أخلاق زوجته وحسن رعايتها لها في أيام الإجازة .. بل من حبها لامرأة أبيها طلبت منه بعد حين بأن ينقلها لمدرسة خارجية ، وبعد تشاور مع نبيلة قالت : إذا كانت هذه رغبة الفتاة فأنا تحت أمرها .. ولا ضيق عندي من وجودها الدائم معنا .. لكن اسمح لي أن أتحدث معها بهذا الموضوع لأتأكد من رغبتها لفعل ذلك ، وأنها مقتنعة بما تطلب يا سيدي الدكتور .

ـ هي التي اعترفت بذلك قائلة ما دام أن الله أرسل لي أما جديدة يا أبي لماذا أظل في المدرسة الداخلية ؟.. أنت تذهب لجامعتك وأنا لما أعود أجد أمي في البيت .. أنا أعترف أمامك أنك أميرة وإنسانة على خلق طيب .. لقد أحبتك الفتاة سريعا رغم أنني لم أكن أتوقع ذلك وبمثل هذه السرعة .. فإن زهرة بعد طلاقي لثريا رفضت بشدة بقاء البنات معنا مع أننا لم يكن بيننا مواليد .. أبت كل الإباء ولو ساعة واحدة يا نبيلة .. لم تكن أما يومذاك .. أنا سعيد بك يا سيدتي الكريمة ، ووالدك راجل فاضل وغانم .. والشكر لله .. أنت كنز عظيم ، ولا أقول ذلك تملقا لك ..أنت أدخلت السعادة على قلبي وقلب حسناء بحبك لنا .. وأنا قررت بمشيئة الله تعالى أن نتعالج أنا وإياك من أمراض العقم خارج البلاد .. فمكسب عظيم أن يهبني الله منك ذرية طيبة .. اليوم كما أسمع وأقرأ العلاج تطور .. وهناك ثورة في علاج أمراض الحمل والعقم سنسعى ولو لطفل واحد

تفاجأت بأفكار فارس فقالت باستغراب : أنا! أنت تعرف أني تزوجت مرتين وطلقت بسبب

الإنجاب وتعالجت ، لم يقصر أبي وأهلي في ذلك .. ولكن الأمر لله لا تقلق من جهتي ، وأنا راض بقدري يا أبا سلوى

ـ لا تيأسي يا سيدتي أنا تحدثت مع رجل في الجامعة عن العقم والإنجاب فقال نحن كل يوم نجد جديدا في علم الجينات والطب والعقم وذكر لي أسماء علماء في الإنجاب في لندن وبرلين

تنهدت نبيلة وقالت : نذهب أوروبا

ـ سنذهب بمشيئة الله .. أنت إنسانة تستحق أن يضحي من أجلها الإنسان بكل ماله بكل شيء

مسحت دمعات عن آماق عينيها وقالت : إنك كريم يا سيدي الدكتور!

ـ إن شاء الله في صيف العام القادم أكون قد حجزت لي ولك عند أحد هؤلاء الأطباء العلماء يجب أن يبقى لدينا أمل كبير بالإنجاب .. فأنت تستحقين التضحية .. لقد أدخلت السعادة والإيمان على بيتنا

ـ أشكرك يا سيدي الدكتور .. ما آخر أخبار عزيزتنا سلوى ؟

ـ أيام قليلة وتضع مولوها الأول بإذن الله .. وقررت أن تقضي أيام ولادتها الأولى بعد خروجها من المستشفى عندك يا نبيلة .. إذا كان ليس لديك مانع واعتراض

قالت بدهشة : مانع ! أنا أمهم يا سيدي الدكتور .. هذا الأمر يسعدني

ـ نعم ، أنا قررت قبل مشاورتك .. عندما التقيت بخالد وسامر جرى الحديث حول هذه الأمر فقلت لهم السيدة الفاضلة موجودة دائما في البيت .. فلن ترفض خدمة ابنتها .. وأنا أعرف أخلاقك العظيمة فتبرعت نيابة عنك

ـ اشكر ثقتك بي .. وأنا سعيدة بهذا العمل وعلى الرحب والسعة .. وسلوى ابنتي حقيقة يا فارس .. إني أحبها بصدق .

بعدما تحدثت نبيلة مع حسناء عن رغبتها بترك المدرسة الداخلية ، وأنها ترغب بالعودة للحياة بينهم ومعهم في البيت ، أتم فارس إخراجها من تلك المدرسة ونقلها

للقسم الخارجي الذي يتبع لنفس المدرسة .. فكان باص المدرسة يتولى نقلها من البيت للمدرسة ثم العودة ، واستقرت حسناء في البيت مع نبيلة .. وعاد لها الهدوء الأسري والدف العائلي الذي

افتقدته منذ سنوات وسنوات .. وكانت نبيلة نعم الأم لها .. وأكدت لها أنها أم حقيقية لها .. وكان فارس يرى ويلحظ عمق الصداقة بين زوجته وابنته مما أكد له سعة قلب نبيلة وحسن تربيتها وأخلاقها .. وسر لتعلق حسناء بها ومحبتها لها .. وأخذت حسناء تحافظ على الصلاة ، وتتعلم منها بكل أريحية بدون أن تأمرها نبيلة بذلك .. وأخذت تتوسل لأبيها أن يشتري لها ملابسا كملابس سلوى ونبيلة.. فقال : الذي يلبس هذه الملابس الجميلة سيتحمل المسؤولية كاملة ..لا يرميها بعد أيام أو أشهر .. هذه الثياب الشرعية ستلقي عليك عبئا جديدا .. عندئذ عليك أن تكوني مسلمة حقيقية .. ليس مجرد كلام .

ـ إني أرى سلوى أجمل امرأة وهي تلبسها يا أبي

ـ سلوى أجمل وأحسن فتاة بدونها

قالت بإصرار : بل ملابس سلوى الشرعية جعلتها أجمل امرأة في الأرض .. صدق أنت لا تعرف في الملابس كما أعرف

ضحك فارس ونبيلة وقال : المهم الجوهر والقلب يا حسناء .. أنا فخور بك يا حسناء .. وعلى كل أمك نبيلة ستشتري لك مثلها لتجربي .. جربيها مدة من الوقت

فقالت نبيلة : هي التي ستشتري ملابسها يا سيدي الدكتور .. سنذهب للمتجر وهي تختار ما ترضاه وتقبله .. وتعجب به

فقالت حسناء : لكني لا أعرف شراء مثل هذه الثياب ولا أعرف اختيار الأجمل

ضحكت نبيلة وزوجها وقالت : ستتعلمين يا حبيبتي .. معارض ومتاجر المحلات الشرعية هي كشبيهاتها من محلات ملابس الموضة .. وستختارين من الألوان ما تحبين لا ما أحب أنا .. وسنشتري ثيابا نهديها لسلوى

عانقت حسناء زوجة أبيها وقبلت رأسها وقالت : أنت أم عظيمة أنت أحسن من أمي !

ـ نسال الله عز وجلّ لها الرحمة .. أنت طيبة يا حسناء .. لو ناديتني بنبيلة بدون أم لن أغضب منك أو أتضايق أنت عزيزة على قلبي يا حبيبتي

فقال فارس : ستنجب لك نبيلة شقيقا أو شقيقة بإذن الله يا حسناء

ـ صحيح يا أبي ؟!

ـ إن شاء الله .. سنسافر الصيف القادم إلى بريطانيا للعلاج يا حسناء ، وستسافرين معنا حتى تفتح المدارس وتعودين .. إني راغب بأن يهبني الله ذرية طيبة سنتعالج يا حسناء .. والأمر لله

ـ جميل هذا ـ إن شاء الله ـ الله يرزقك طفلا أو أكثر يا أحلى أم .. يا سلام عندما يحل بيننا طفل صغير ..!

كانت نبيلة تمسح دموعها التي حاولت إخفاءها فقال فارس : لا تستحي من البكاء يا نبيلة .. فهي دموع نبيلة حقا ..أنت أدخلت السعادة علينا والإيمان بيننا .. آه كم كنا نفتقد مثل هذه الجلسات ..!!

فقالت نبيلة : السعادة يا سيدي الدكتور في طاعة الرحمن والخضوع له وحده .. فبخضوعنا للرحمن نحب بعضنا صادقين ونحفظ بعضنا

ـ الحمد لله الذي أكرمني بك .. لقد اتفقت أنا وأمك يا حسناء على بقاء سلوى عندنا عند ولادتها لنطرب على صوت مولودها .. ستخرج من المستشفى إلى هنا لنرى الطفل الجميل وهو يصيح ويصرخ مناديا على سلوى

ـ عظيم ! كم أرغب بأن أسمع صياح طفل يا أمي

ـ ستسمعين يا حبيبتي .. وستكونين في الغد الواعد أمّا عظيمة وتنجبين للأمة أبطالا وعلماء

ـ متى ستلد سلوى يا أبي ؟

قال : قريبا خلال هذا الشهر سيظهر مخلوق جديد على وجه الأرض .. سيغادر الرحم الصغير إلى الأرض الواسعة .. رحلة عجيبة لهذا المخلوق في رحم أمه ..آيات باهرة في خلق الإنسان يا حسناء .. علماء الأجنة يتحدثون عن إعجاز كبير في خلق وتولد الإنسان .. أشياء كنا نراها ونسمعها ونمر عليها مرور الكرام دون تأمل وفكر .. ولما صرنا نقرأ في القرآن عنها يأخذنا الإعجاب والدهشة لحديث مراحل تخلق الإنسان .. وذلك قبل وجود أجهزة التصوير والأشعة والسونار .. القرآن حدثنا عن ذلك قبل مئات السنين .. حقيقة أنني في غاية الإعجاب .. فكلما أقرأ جديدا أرى كم كنت في جهل!.. الجهل غرور يا نبيلة .. اعتقدت أنني بإتقاني الفرنسية

والإنجليزية وعملي في كلية اللغة الفرنسية أنني أصبحت حداثيا تقدميا من علماء الأرض في الترجمة .. فعندما كنت افتح كتابا في تلك اللغة أشعر وأحس أني تقدمت كثيرا في لغة القوم .. الغرور عندما يركب الإنسان يضخم له الأشياء ويصوره أنه فارس الزمان الأوحد بين قومه ؛ لأنه يعرف لغة هؤلاء .. لكني اليوم أحس أنني تافه .. عندما اكتشفت أنني لا أعرف الوضوء والطهارة وأبجديات التوحيد والصلاة .. إني ضحية الغزو الثقافي الذي عظم أولئك وبخس الإسلام .. فلقد خلق التواضع حتى يعلم الإنسان أنه لا شيء ..لا شيء .. وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .. هذا الذي نعرفه اليوم فقط من القليل ..



العلاج

قال الدكتور خالد : عظيم يا فارس! إنك تتقدم في العلم الشرعي تقدما عظيما وسريعا .. وفعلا على المرء أن يستغل فورة الحماس قبل أن يعود للسكون .. لقد سمعت أنك ستسافر لبريطانيا خلال أيام

ـ صديق عزيز يا خالد .. لقد فاتني الكثير من صحبتك .. كم تمنيت لو التقينا قديما لأنهل من معارفك ومن هذه الكتب التي تختارها وتملكها ! .. لقد كان هدفي في السنوات الخالية متابعة الصحف الفرنسية .. إصدارات دور النشر الفرنسية .. اليوم زهدت فيها وأنا مبهور بكتب الأفذاذ من أهل الإسلام .. أما بالنسبة للسفر أيها الأخ العزيز .. سنذهب أنا والأخت الفاضلة للعلاج من العقم عند أحد الأخصائيين الكبار في بريطانيا .. فأنا كما تعلم أعاني من ضعف جودة الحيوان المنوي .. والأخت نبيلة عندها عيوب خلقية في جهازها التناسلي .. وهناك أمل كما قال لي أحد الزملاء في علم النساء وطبهن .. وهناك الأجهزة الأحدث تطورا وعندهم جراءة في العلاجات المعقدة أكثر من هنا .. والسيدة نبيلة يا خالد تستحق مني كل شيء .. فهي نور سطع علينا في البيت .. وحسناء تحبها حبا لم أكن أتخيله .. مما أضفى سعادة كبيرة علينا .. وهي في سن يمكنها أن تحمل بعد .. ورتبنا أوراقنا وتقاريرنا الطبية القديمة والحديثة .. بل الرجل العالم لما اطلع على الصور وتقاريرنا قال : الأمل كبير في الحمل الطبيعي وأن امرأتك لم تصل لمرحلة اليأس فهي دون الأربعين واحتمال حملها وارد .. واخبرني أن أمري أسهل مع المنشطات والمقويات للحيوان المنوي .. فشجعنا الرجل للسفر

ـ أنت أصيل يا فارس .. وشهم .. فعلا خسرنا سنوات من الصداقة بسبب القيل والقال .. وجزاك الله خيرا ..وأنا لديّ إحساس بكرم الله عز وجلّ لهذه المخلوقة الصابرة نبيلة

ـ إنها سيدة فاضلة .. ودائما أدعو لك ولحبيبة ولسامر وسلوى على ما أنعم الله عليّ أنا وحسناء على جمعكم لي بهذه السيدة

ـ تقادير الله تعالى .. إذن السفر قريب

ـ وسنأخذ حسناء معنا خلال فترة الصيف للتفرج والسياحة في بلاد الفرنجة كما يسمونهم في

كتب القدماء وأيام الحروب الصليبية التاريخية .

استأذن سامر وسلوى بالدخول وقبلت سلوى وجه أبيها وقالت : مرحبا أبي .. هل تجهزتم للسفر ؟

وجلست بجواره بعدما حيت عمها ، ثم قبل سامر جبين عمه ورحب به وأخذ مكانا في الغرفة وقال : نتمنى لكم النجاح يا عم في العلاج والشفاء .. أتحب أن ترى حفيدك الأول .

ـ لقد استمتعنا بوجوده نصف شهر .. وكانت أحلى الأيام عندنا .. فنحن منذ حسناء لم نسمع صوت بكاء طفل في بيتنا .. المواليد الجدد لهم بهجة على البيوت يا خالد .. عندما تهبط حسناء من الباص حافلة المدرسة تدخل راكضة إلى حيث يرقد محمد .. وتقبله وهي تلهث وتقول : إنه نائم يا سلوى .. ألا يريد أن يصرخ ويبكي ؟

فقال خالد : الأمومة غريزة كبيرة في الأمهات والبنات .. ولولا تلك الفطرة لتركت النساء الحبل والولادة .. رغم الألآم الشديدة التي تعانيها الوالدات ومع ذلك تجد رغبتهن في المزيد من الأولاد .. كانت النساء الأوائل وهن في جيل حسناء أو أقل بين أيديهن مواليد .. واحد أو أكثر .. النساء القديمات عجيبات فعلا .. حمل وزراعة وحطب ورعاية أطفال وأزواج ..

ـ الإنسان ابن البيئة التي يتواجد فيها .. ولادات عقود مضت كانت تتم في البيوت ، اليوم من النادر الولادة في بيت .. فكل مستشفى فيها قسم ولادة .. أين محمد يا سلوى ؟ أكيد مع حسناء

فقال سامر : حسناء لم تر بعد ولادتها مولودا ؛ فلذلك رغبتها أن يبقى محمد عندها .. فسمعتها تساوم سلوى على حضانته

فضحك القوم وقالت سلوى : قلت كيف سترضعينه يا حسناء هذا وليد يرضع من صدر أمه ليس فقط بالقنينة ؟ .. أنا أعطيه القنينة بسب غيابي في الجامعة ..

قال خالد : ليس هناك أفضل للطفل من حليب الأم .. الحليب الإلهي خير غذاء للطفل يا فارس .. والرضاعة لا تكون في الغالب إلا من امرأة متزوجة وفي حالة وضع .. المرأة إذا لم ترضع من صدرها يجف حليبها ولبنها ..

فقال فارس : إن شاء الله نوفق أنا والسيدة نبيلة في رحلة العلاج ونخلف طفلا يكون أخا لهن

بعد غياب طويل

تمتم الجميع بالدعاء .



سافر فارس ونبيلة وحسناء كما رتب للعلاج في البلاد الأجنبية ، والتقيا بالدكتور المعالج للعقم وجرت الفحوصات اللازمة والاختبارات والتحاليل المخبرية والصور الطبقية ، وبعد حين علم الدكتور أن العلاج قد يستغرق وقتا طويلا وليس سريعا كما ظن فارس في البداية .. ووافق فارس على البقاء ومدد إجازته من الجامعة .. وأعاد حسناء ورتب أمر معيشتها مع سلوى وسامر ، وفرحت حسناء ببقائها عند سلوى والطفل محمد ، ثم خيرها بالبقاء معهم أو العودة للمدرسة الداخلية .. فأحبت البقاء معهم ، ورحب الدكتور خالد بذلك واعتبرها كابنته كما قال لفارس ، ونقلت خادمة فارس للعمل في شقة سامر وسلوى .. وكانت حبيبة تغمرها بالمحبة والحنان وتتعشى دائما معهم وليس مع أختها ، وترعاها في دراستها .

وكانت أخبار لندن مطمئنة ومثيرة للدهشة والشكر ، فقد نقلت لهم عبر الأثير أن عملية زراعة حمل قد نجحت ، وأن هناك فرصة أن تلد نبيلة تواؤما .. ولله في خلقه شؤون .. ثم جاءت البشرى أن الحمل ثبت واجتاز مرحلة الخطر .. وخرجت نبيلة عن الشهر الثالث بسلام .. وغمر الفرح أحباب فارس ونبيلة .. ولما تقدم الحمل سافر الدكتور حمزة بنفسه وزوجته لبريطانيا لزيارة ابنته الصابرة ، ويقدم الشكر لصهره وزوج ابنته وللطبيب المعالج .. والبقاء معهم حتى تلد .. وكان اللقاء شاعريا عاطفيا تخللته الدموع والدعوات والرجاء .. وتأكد لهم تقدم الطب في بلاد الغرب رغم الانحراف العقدي الكبير لديهم (ولا تبخسوا الناس أشياءهم).. وجاءت ساعة الحسم وتمت الولادة القيصرية ، وأخرج الله وحده من رحمها ذكرين كاملين وبصحة جيدة ، وصارت نبيلة أما بعدما يئست من الأمومة الذاتية .. فرحمة الله قريب من المحسنين .. وغمرت الأفراح الأسرات في لندن وفي جوهر ، وكانت حسناء تصيح فرحا

وسعادة لقد صار لي أخوان ولما يتصل بها فارس كعادته منذ سافر تقول بلهفة : ألا أستطيع السفر ؟ .. إني أريد أن أراهما وأقبلهما وألاعبهما .. فيقول مخففا من لهفتها : أيام أو أسابيع لقد صبرنا سنوات .. يريد الطبيب مراقبتهما ومتابعتهما لحين .

بعد ثلاثة شهور من الولادة أذن لهم الطبيب بالعودة لبلادهم .. وكان الأهل في استقبالهم في المطار.. حتى أن والد فارس السيد محسن كان من ضمن المستقبلين ، وبعض شقيقات فارس وأخوه محمود الذي راوده الأمل في السفر والعلاج في أوروبا كأخيه ، ووعده فارس بالمساعدة وكانت الآنسة حسناء تحمل طفلا وسلوى الآخر وتقول : ألا استطيع حمل الاثنين يا أبي ؟

ـ تستطيعين عندما يبدآن الحبو والزحف .

وكان سامر وسلوى قد هيئا فيلا الوالد لاستقبال الضيوف والمواليد .

ولما استقروا في جوف البيت قال فارس : الشكر والحمد لله أولا وآخرا .. مبارك عليك يا نبيلة حسنا وحسينا .

وقالت سلوى : وقد عق والدها عنهما يا أبي

التفت فارس إلى الدكتور حمزة : كيف وقد كنت معنا ؟!

فقال حمزة : أنا أشكرك يا فارس .. جعل الله مقدمهم عليك مقدم سعد وبركة .. أنا اتصلت بالأولاد وأمرتهم بالذبح عنهم .. تأسيا بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .. هذا بعض الهدية لهما .

قالت نبيلة : شكرا لك يا أبي !





جمال شاهين

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الشقق السوداء	١٠	حياتي قبل الحياة
١١	الحفل بالقط الأسود	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	


أستاذ الفرنساوية
رواية استاذ الفرنساوية
عشق اللغة الفرنسية وأتقنها قراءة وكتابة
فقلد الفرنسيين في كل شيء
لباس طعام شراب طقوس حياة
ثم اكتشف زيف كل ذلك
فأسلم من جديد
عاد للأسرة الكبيرة من جديد
ذاك هو استاذ اللغة والآداب الفرنساوية
ج. ش
٢٠١١